

الأُمُورُ الْفَائِقَةُ لِلطَّبِيعَةِ

مَا يُعَلِّمُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ

عَنِ الْعَالَمِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، وَأَهْمِيَّتِهِ

مايكل س. هيزر

ترجمة:

شيري عوض، وسامح عزي

إهداء

إلى أمي وأبي

إد وجان سبيرو

من كان يمكن أن يرى هذا حادثاً؟

أعتقد أننا نعلم

١ صموئيل ١: ١-٢٨

كلمة شكر وتقدير

للكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية

بما أنّي قد بنيتُ كتاب "خارق للطبيعة" [Supernatural] على كتابي الآخر "العالم غير المنظور" [The Unseen Realm]، فإن الأفكار المعبر عنها في كلمة الشكر والتقدير في ذلك الكتاب ملائمة هنا أيضًا، ولو بصورة مختصرة.

الشكر واجبٌ لمجموعة المناقشة التي أقيمت على الإنترنت، بعد وقت قصير من اتخاذي القرار بجعل المجمع الإلهي والعالم غير المنظور في اللاهوت الكتابي محط اهتمامي واختصاصي في مسيرتي الأكاديمية. لا يثير الدهشة إذن أنني أطلقتُ على هذه المجموعة "مجموعة المجمع الإلهي الدراسية". انحلّت هذه المجموعة في عام ٢٠٠٤م، بعد تخرجي من برنامج الدكتوراه، وبدئي العمل في برنامج "Logos Bible" الإلكتروني. إلا أن هذا التدريب ساهم في إعدادي لكتابة كلا الكتابين.

بدأ كتاب "العالم غير المنظور" [The Unseen Realm] كنسخة خطيّة بعنوان "The Myth That Is True" [الأسطورة التي هي حقيقة]، قمتُ بإصدارها لأجل المتابعين المهتمين بمحتوى الموقع الإلكتروني وبروايتي "The Facade" [الواجهة]. ظهر قدر كبير من مادة هذا الكتاب أولاً في إحدى الدوريات

المعلوماتية، ثم لاحقًا في مدونة. وكان القصد من هذا هو أن أضع أمامي التزامًا بإصدار شيء ما كل شهر. أما المُسَوِّدَة الكاملة الأولى لكتاب "The Myth [الأسطورة]، كما صار يُطلق عليه، فقد اكتملت في عام ٢٠١٢م. وقد أُجريتْ تحسينات على النسخة الخَطِّيَّة على أثر تعليقات القراء وردود أفعالهم. وقد ذُكرتْ مساهمين محددين في كلمة الشكر والتقدير الواردة في كتاب "العالم غير المنظور".

تمثَّلت المساهمة الرئيسية في إصدار كتاب "العالم غير المنظور" -وبالتالي كتاب "خارق للطبيعة" - في ثلاثة موظفين إداريين بمؤسسة "Faithlife"، وبرنامج "Logos Bible" الإلكتروني، وهم: بوب بريتش، وديل بريتش، وبيبل نينهويس. هؤلاء الثلاثة، ليس فقط نجحوا في الوصول بنسختي الخطية إلى المستوى التالي، لكنهم أيضًا رأوا مسبقًا الحاجة إلى نسخة منقحة ومصفاة من محتوى هذه النسخة. وبالتالي، يُعد كتاب "أشياء فائقة للطبيعة" نتاج رؤيتهم.

كما قام أيضًا ديف لامبرت، ناشر كتاب "العالم غير المنظور" بنشر كتاب "أشياء فائقة للطبيعة". ويمكنك ملاحظة خُلاصة خبرته ومعرفته الواسعة في كل صفحة من صفحاته. فقد جعل الأشخاص العاديين الجالسين على مقاعد الكنيسة، في ذهني دائمًا.

وأخيرًا، أريد أن أُعبّر عن امتناني لزوجتي، درينًا، فهي تجعل كل شيء أعمله ممكنًا.

شكر وتقدير لصدور هذه الترجمة

أود أن أعبر عن شكري للمتبرعين لموقع Miqlat.org الإلكتروني. فلولا سخاؤكم، لَمَا أصبح مشروع الترجمة هذا ممكنًا.

صفحة المحتويات

الفصل الأول: تصديق الكتاب المقدس

الفصل الثاني: العالم غير المنظور: الله والآلهة

الفصل الثالث: ملوك خالدون

الفصل الرابع: أفعال التمرد الإلهية

الفصل الخامس: الجغرافيا الكونية

الفصل السادس: الكلمة، والاسم، والملاك

الفصل السابع: قواعد التعاقد

الفصل الثامن: الموضع المقدس

الفصل التاسع: حرب مقدسة

الفصل العاشر: مكتوم على مرأى من الجميع

الفصل الحادي عشر: قصد فائق للطبيعة

الفصل الثاني عشر: الراكب سحب السماء

الفصل الثالث عشر: الانقلاب العظيم

الفصل الرابع عشر: لسنا من هذا العالم

الفصل الخامس عشر: شركاء الطبيعة الإلهية

الفصل السادس عشر: سَنَدِين ملائكة

خاتمة

الفصل الأول

تصديق الكتاب المقدس

أُتصدق حقًا ما يقوله الكتاب المقدس؟

ربما يبدو غريبًا للبعض أن نطرح هذا السؤال في مستهل كتاب من المرجح أن غالبية من سيقرأونه من المؤمنين. لكن لست أظنُّه بهذه الغرابة. فالكتاب المقدس يحوي بعض الأشياء الغريبة إلى حد كبير، بعض الأمور التي يصعب تصديقها، وخاصة في العالم الحديث.

لست أقصد تلك الموضوعات الكبرى، مثل: ما إذا كان يسوع هو الله الذي أتى إلى الأرض، ومات بعد هذا على الصليب، وقام من بين الأموات. ولست أقصد أيضًا قصص المعجزات كقصة الخروج من أرض مصر، حين حرَّرَ الله إسرائيل من مصر بأن هبَّ لهم طريقًا في وسط البحر الأحمر. يقول غالبية المؤمنين إنهم يُصدِّقون تلك الأشياء. ففي النهاية، إن لم تكن تؤمن بالله وبيسوع، أو بقدرتهما على صنع أمور معجزية، فما المغزى إذن من قولك إنك مؤمن مسيحي؟

لكني أتحدث عن تلك الأشياء الخارقة للطبيعة غير المعروفة كثيرًا، التي تصطدم بها من آن لآخر حين تقرأ الكتاب المقدس، لكنك نادرًا ما تسمع عنها في الكنيسة.

واليك هذا المثال. في (املوك ٢٢)، نجد قصة عن ملك شرير على إسرائيل يُدعى أخاب. أراد هذا الملك أن يتحالف مع ملك يهوذا لمحاربة عدو في مكان ما يُدعى راموت جلعاد. وأراد ملك يهوذا أن يحصل على لمحة من المستقبل، أي أن يُعلم ما سيحدث إن دخل الحرب. وبالتالي، سأل الملك أنبياء أخاب، فأبدى جميعهم تأييدهم لدخول الحرب. لكن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا يقولون سوى ما أراد أخاب أن يسمعه، وكان كلا الملكين يعلمان هذا. ولذا قررا أن يسألا نبي الله، وهو رجل يُدعى ميخا. ولكن لم يكن ما قاله ميخا يمثل أخبارًا سارة بالنسبة لأخاب:

﴿فَاسْمَعْ إِذَا كَلَّمَ الرَّبَّ: قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وَقُوفٌ لَدَيْهِ عَنِ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخَابَ فَيَصْعَدَ وَيَسْقُطُ فِي رَامُوتِ جِلْعَادٍ؟ فَقَالَ هَذَا هَكَذَا، وَقَالَ ذَلِكَ هَكَذَا. ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ فَقَالَ: أَخْرُجْ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ. فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ، فَاخْرُجْ وَافْعَلْ هَكَذَا. وَالآنَ هُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ هَؤُلَاءِ، وَالرَّبُّ تَكَلَّمَ عَلَيْكَ بِشَرٍّ.﴾ (املوك ٢٢: ١٩-٢٣)

هل أمكنك استيعاب ما يطلب الكتاب المقدس منك تصديقه؟ أن الله يجتمع بمجموعة من الكائنات الروحية كي يقرر ما سيحدث على الأرض؟ هل هذا حقيقي؟

واليك مثال آخر، من رسالة يهوذا:

﴿وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَمْ يَحْفَظُوا رِيَاسَتَهُمْ، بَلْ تَرَكُوا مَسْكَنَهُمْ حَفِظَهُمْ إِلَى دَيْنُونَةِ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ بِقُيُودِ أَبَدِيَّةٍ تَحْتَ الظَّلَامِ.﴾ (يهوذا ١: ٦)

هل أرسل الله بالفعل حفنة من الملائكة إلى سجن تحت الأرض؟ حقًا؟

كما ذكرتُ قبلاً، يحوي الكتاب المقدس العديد من الأشياء الغريبة، وخاصة عن العالم غير المنظور، العالم الروحي. وقد تقابلت مع الكثير من المؤمنين الذين لا يواجهون أدنى صعوبة مع تعاليم الكتاب المقدس الأقل إثارة للجدل (على الأقل بين المؤمنين) عن العالم الخارق للطبيعة، مثل من كان يسوع، وماذا فعل. إلا أن نصوصاً كهذه تميل إلى أن تصيبهم بحيرة وارتباك شديدين، وبالتالي فهم يتجاهلونها. وقد رأيت هذا الميل عن قرب. فذات مرة، قمت أنا وزوجتي بزيارة إلى كنيسة حيث كان الراعي يقدم سلسلة عظات من رسالة بطرس الأولى. لكن في ذلك الصباح الذي اصطدم فيه بنص بطرس الأولى ٣: ١٨-٢٢، كان أول ما قاله بعد أن وقف وراء المنبر: «سوف نتجاوز هذه الأعداد، فهي شديدة الغرابة.» وما عناه بكلمة "غرابة" هو أن تلك الأعداد كانت تحوي عناصر خارقة للطبيعة لم تكن تلائم لاهوته. مثل:

﴿فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثْمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللَّهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيِيٌّ فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَّرَزَ لِلْأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السَّجْنِ، إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا، حِينَ كَانَتْ أَنَا اللَّهُ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلُكُ يُبْنَى.﴾ (١ بطرس ٣: ١٨-٢٠)

مَن كانت هذه الأرواح التي في السجن؟ وأين كانت؟ إما أن هذا الراعي لم يكن يعلم أو أن الإجابة لم تعجبه، وبالتالي فقد اختار ببساطة أن يتجاهل هذه الأعداد.

وبصفتي عالمًا أكاديميًا في الكتاب المقدس، تعلمت أن النصوص الغريبة (والكثير من الأجزاء الأخرى من الكتاب المقدس غير المعروفة وغير المفهومة بشكل كبير) هي في حقيقة الأمر في غاية الأهمية. فهي تُعلِّم أفكارًا محددة عن الله، وعن العالم غير المنظور، وعن حياتنا. صدِّق أو لا تصدق، إن صرنا على دراية بهذه الأفكار، وإن فهمنا ما تعنيه، بالرغم من صعوبتها وغموضها، فإن هذا من شأنه أن يغير طريقة تفكيرنا عن الله، وعن بعضنا البعض، وعن الغرض من وجودنا، وعن مصيرنا النهائي.

في الرسالة الأولى التي كتبها بولس الرسول إلى أهل كورنثوس، أبدى انزعاجه واستياءه من اقتياد المؤمنين في تلك الكنيسة بعضهم بعضًا إلى المحاكم لفض النزاعات بينهم. كان هذا، كما شعر بولس، مضيعة للوقت، وإهدارًا لطاقة عاطفية، بالإضافة إلى أن له انعكاسًا سلبيًا على الإيمان. فتكلم بولس لاهثًا: ﴿أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْكُمْ سَتَدِينُونَ الْعَالَمَ؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنْكُمْ سَتَحْكُمُونَ مَلَائِكَةً؟﴾ (١ كورنثوس ٦: ٣، إعادة صياغة)

ندين العالم؟ [نحكم] ملائكة؟

ما يتحدث بولس عنه في تلك الآية المحيرة والمربكة يُدهش العقل، ولكنه أيضًا يغير الحياة. فهذا الكتاب المقدس يربط حياة الكائنات الفاتكة

للطبيعة بحياتنا ومصائرنا. فإننا يوماً ما سوف ندين العالم. وسوف ندين [نتسلط على، نحكم] ملائكة، كما قال بولس تماماً. وسنذكر المزيد عن هذا لاحقاً.

والسبب الذي لأجله استطاع بولس أن يقول هذا لأهل كورنثوس -ولنا- هو أن قصة الكتاب المقدس تدور حول الكيفية التي خلقنا الله بها، ورجبته في أن نكون جزءاً من عائلته السماوية. ليس من قبيل المصادفة إذن أن يستخدم الكتاب المقدس مصطلحات مستمدة من العلاقات العائلية، مثل: التواجد معاً في بيت، والعمل معاً، لوصف الله، ويسوع، وكائنات العالم غير المنظور، والمؤمنين، وأنت وأنا، وصفاً جماعياً. يريد الله أن تكون البشرية جزءاً من عائلته وأهل بيته، وجزءاً من حكمه للخليقة.

نعلم جميعاً مفهوم ﴿كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ هذا المفهوم مستمد من أفكار، بل ومن صياغة، وردت في الصلاة الربانية (متى 6: ١٠). فمنذ البدء، أراد الله أن تحيا عائلته البشرية معه في عالم مثالي -مع العائلة التي له بالفعل في العالم غير المنظور، أي جنده السماوي. تلك القصة، أي قصد الله، ومقاومة قوات الظلمة لهذا القصد، وفشل القصد، ثم نجاحه المستقبلي النهائي، هي التي يدور حولها هذا الكتاب، كما أنها هي التي يدور حولها الكتاب المقدس. ولا يمكننا تقدير قيمة دراما قصة الكتاب المقدس إن لم نشمّل بداخلها كل شخصيات الرواية -بما في ذلك الشخصيات فوق الطبيعية التي هي جزء من الملحمة، والتي تتعرض للإهمال والتجاهل من قبل العديد من معلمي الكتاب المقدس.

ليس أعضاء جند الله السماوي هامشيين، أو عديمي الأهمية، أو لا يمتون
بصلة لقصتنا، قصة الإنسان، في الكتاب المقدس؛ بل إن لهم دورًا محوريًا. لكن
قارئ الكتاب المقدس في العصر الحديث لا تستوقفهم في كثير جدًا من الأحيان
الطرائق المذهلة التي يظهر بها العالم الخارق للطبيعة في العشرات من أكثر
الأحداث المألوفة والمعروفة في الكتاب المقدس، فيتجاوزونها في قراءتهم دون أن
يستوعبوها. وقد تطلّب الأمرُ مني عشرات السنين كي أرى ما أراه الآن في الكتاب
المقدس، وأريد أن أشرككم معي في ثمار تلك السنوات من الدراسة.

لكن دعونا لا ننسى السؤال الذي طرحته من البداية. «أتصدق حقًا ما
يقوله الكتاب المقدس؟» هنا يكمن المحك الحقيقي. لن يجديك نفعًا أن تتعلم ما
يقوله الكتاب المقدس عن العالم غير المنظور، وكيف يتلاقى هذا مع حياتك، إن
لم تكن تصدقه.

في (٢ملوك ٦: ٨-٢٣)، وَقَعَ أليشع النبي في مَأزِق (مرة أخرى)؛ فقد أرسل
ملكٌ غاضبٌ جيشًا ومركبات وأحاطوا ببيته. وحين أصيب غلامه بالهلع، قال له
أليشع: ﴿لَا تَخَفْ، لِأَنَّ الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ.﴾ وقبل أن يبدي الغلام
اعتراضه، صلى أليشع قائلاً: ﴿يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ.﴾ وعلى الفور استجاب
الله: ﴿فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنِي الْغُلَامِ فَأَبْصَرَ، وَإِذَا الْجِبَلُ مَمْلُوءَةٌ خَيْلًا وَمَرْكَبَاتٍ نَارٍ
حَوْلَ أليشع.﴾

وصلاة أليشع هي نفسها صلاتي لأجلك: «ليت الله يفتح عينيك فتبصر،
فلا تعود تفكر في الكتاب المقدس على هذا النحو ثانية.»

الفصل الثاني

العالم غير المنظور: الله والآلهة

يَنْبَهُرُ النَّاسُ بالأشياء الخارقة للطبيعة، وبما يفوق قدرة البشر. فقط فكر معي في الإنتاج الترفيهي في السنوات الأخيرة. الآلاف من الكتب، والبرامج التلفزيونية، والأفلام في العقد الماضي كانت عن الملائكة، والكائنات الفضائية، والوحوش، والشياطين، والأشباح، والساحرات، والسحر، ومصاصي الدماء، والمستذئبين، والأبطال الخارقين. وتعرض الكثير من الوكالات الكبرى الناجحة في هوليوود في منتجاتها هذا المحتوى الخارق للطبيعة، مثل: سلسلة حلقات "X-Men"، و"Avengers"، وهاري بوتر، وسوبرمان، و"Twilight saga". وتحظى البرامج التلفزيونية مثل "Fringe"، وبالطبع، المسلسل "Supernatural"، و"X-Files" بنسب متابعة كبيرة تستمر حتى بعد انتهاء عرض الحلقات الجديدة بفترة طويلة. وحقًا، ألم تحظ هذه الأشياء دائمًا برواج وشعبية - في الروايات، والكتب، والفرن؟

لماذا؟

أحد الإجابات على هذا هي أنها وسيلة للهروب مما هو اعتيادي. فهي تقدم لنا عالمًا أكثر تشويقًا وإثارة من عالمنا. فهناك ما يفتننا ويثيرنا في الصراع بين

الخير والشر، المضخّم بمقياس كوني. فالصراع الملحمي لأبطال الأرض الوُسطى (جاندالف، وفرودو، وغيرهم) ضد سورون سيد الظلام في ثلاثية "سيد الخواتم" [The Lord of the Rings] قد أسرّ قلوب القراء (والآن مشاهدي الأفلام) لما يزيد على نصف قرن. وكلما كانت الشخصية الشريرة من عالم آخر، كان الانتصار أكثر إثارة ودراماتيكية.

من ناحية أخرى، ينجذب الناس إلى العوالم الأخرى لأن الله، كما يقول سفر الجامعة، ﴿جَعَلَ الْأَبْدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمْ﴾ (جامعة ٣: ١١). يوجد شيء ما بداخل البشر يشتاقي إلى شيء إلهي يفوق الخبرة البشرية. وقد كتب الرسول بولس أيضًا عن هذا الاشتياق. وعلمّ بأنه يأتي من مجرد كوننا على قيد الحياة في هذا العالم الذي خلقه الله. إن الخليقة تشهد عن وجود خالق، وبالتالي عن عالم يتجاوز عالمنا (رومية ١: ١٨-٢٣). وفي حقيقة الأمر، قال بولس إن هذا الباعث كان من القوة بحيث لزم وضع حدٍ له عن عمد (عدد ١٨).

ومع ذلك، لا يبدو أننا نفكر في قصة الكتاب المقدس الملحمية بالطريقة ذاتها التي نفكر بها في روايات العالم الخارق للطبيعة، التي نجدتها في الكتب، والأفلام، والأساطير. وهناك أسباب لذلك، وهي تتعدى الافتقار إلى المؤثرات الخاصة. فبالنسبة للبعض، تعد شخصيات الكتاب المقدس عادية أكثر من اللازم، أو عتيقة الطراز؛ فهي لا تبدو مليئة بالحياة أو بطولية. ففي النهاية، هؤلاء هم الأشخاص أنفسهم، وهذه هي القصص نفسها التي نسمعها منذ كنا أطفالاً في مدرسة الأحد. ثم يعترضنا أيضًا الحاجز الثقافي؛ إذ يصعب علينا التفاعل مع ما يبدو عرَضًا لا ينتهي لرعاة غنم قدامى، ورجال لابسين أردية، على غرار الكثير من الممثلين في مسرحيات ميلاد المسيح في كنيستك.

لكنني أعتقد أن العامل الأكبر الذي يجعل الخيال العلمي، أو الخيال الخارق للطبيعة يأسر خيالنا بأكثر سهولة، هو الكيفية التي تعلّمنا بها أن نفكر في عالم الكتاب المقدس غير المنظور. ما سمعته في الكنيسة عبر السنوات لم يُخَفِّق في فهم وتصور العالم الخارق للطبيعة فحسب، لكنه يجعل منه أيضًا شيئًا مُمِلًا. بل الأسوأ من هذا أن تعليم الكنيسة يُضعِف من تأثير العالم غير المنظور، الخارق للطبيعة، جاعلاً إياه دون قوة أو تأثير.

إن الكثير مما يتصور المؤمنون أنه صحيح بشأن العالم غير المنظور ليس كذلك. فإن الملائكة ليس لها أجنحة. (يُستثنى من هذا الكروبيم لأنها لم تُدعَ قط ملائكة، ولأن لها صفات الكائنات المخلوقة. أما الملائكة فهي دائماً في هيئة بشر.) كما أن الشياطين ليست لها قرون وأذيال، وهي ليست موجودة كي تدفعنا إلى أن نخطئ (فإننا نفعّل هذا جيداً بأنفسنا!) وفي حين يصف الكتاب المقدس، محقّقاً، سُكنى الأرواح الشريرة بأساليب مروعة، إلا أن الشر العاقل [الشرير] لديه في جعبته ما هو أكثر فساداً وشرّاً غير جعل البشر مجرد دُمى يتحكم بها. وفوق هذا كله، لا يلعب الملائكة والشياطين سوى أدواراً ثانوية. لكن لا توجد أيّة مؤشّرات على الإطلاق تدل على أن الكنيسة على دراية بالخصيات الكبرى الرئيسية، وبأجنداتها ومخططاتها.

الآلهة حقيقيون

سألتك في الفصل الأول إن كنت تصدق حقّاً ما يقوله الكتاب المقدس.

اعتبر ما يلي اختباراً فجائياً.

يقول الكتاب المقدس إن الله لديه وحدة عسكرية أو فريق عمليات حربية من الكائنات الإلهية تنفذ قراراته وأوامره. ويشار إلى هذه الوحدة باسم الجماعة، أو المجمع، أو الدَّيْنُ [أي مجلس القضاء] (مزمور ٨٩: ٥-٧؛ دانيال ٧: ١٠). وتعد أحد أكثر الآيات وضوحًا على الإطلاق بشأن هذا هو (مزمور ٨٢: ١)، الذي يقول: ﴿اللَّهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللَّهِ﴾ [في المجمع السماوي، "heavenly council"]، في وَسْطِ الْآلِهَةِ [جماعة الآلهة] يَقْضِي. ﴿ [المترجم: بحسب ترجمة Good News الإنجليزية].

إن فَكَّرْتُ في هذه الآية، فستجدها مُحَيَّرَةً ومربكة! فقد أزعجتني وأثارت أعصابي في المرة الأولى التي نظرت إليها فيها حقًا. لكن ما تعنيه هذه الآية هو ما تقوله بالفعل بشكل واضح وبسيط. ينبغي فهم (مزمور ٨٢: ١)، على غرار أي مقطع كتابي آخر، في قرينة النصوص الأخرى للكتاب المقدس - وفي هذه الحالة ينبغي فهمه في قرينة ما يقوله الكتاب المقدس عن الآلهة، وكيف ينبغي تعريف هذا اللفظ.

الكلمة العبرية الأصلية التي تُرجمت "آلهة" هي إلهيم [Elohim]. لطالما ظن كثيرون مَنَّا أن كلمة إلهيم لها معنى واحدًا - وهو أنها أحد أسماء الله الأب - حتى أنه ربما يصعب علينا التفكير في الكلمة بمعناها الأوسع. لكن تشير الكلمة حقًا إلى أيِّ ساكنٍ من سكان العالم الروحي غير المنظور. ولهذا تجدها مستخدمة عن الله نفسه (تكوين ١: ١)، وعن الشياطين (تثنية ٣٢: ١٧)، وعن الأموات من البشر في الحياة ما بعد الموت (١ صموئيل ٢٨: ١٣). فبالنسبة للكتاب المقدس، أي كائن دون جسد، ويقطن العالم الروحي هو إلهيم.

لا يشير اللفظ العبري إلى مجموعة محددة من الإمكانيات لا يملكها سوى الله وحده. بل يميز الكتاب المقدس الله عن جميع الآلهة الأخرى بطرائق أخرى، لا باستخدام كلمة إلهيم. على سبيل المثال، يأمر الكتاب المقدس الآلهة [أبناء الله] بتقديم العبادة والسجود لإله الكتاب المقدس (مزمور ٢٩: ١). فهو خالقهم وملكهم (مزمور ٩٥: ٣؛ ١٤٨: ١-٥). ويقول مزمور ٨٩: ٦-٧: ﴿لَأَنَّكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ يُعَادِلُ الرَّبَّ. مَنْ يُشْبِهُ الرَّبِّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللَّهِ [الكائنات السماوية]؟ [١ملوك ٨: ٢٣؛ مزمور ٩٧: ٩]. إلهٌ مَهُوبٌ جِدًّا فِي مُؤَامَرَةِ [مجمع، "council"] الْقَدِيسِينَ.﴾^١ فقد اتسم كَتَبَةُ الكتاب المقدس بالحدة والصرامة في قولهم إن لا أحد يعادل إله إسرائيل - فهو ﴿إِلَهَ الْآلِهَةِ﴾ (تثنية ١٠: ١٧؛ مزمور ١٣٦: ٢).

هذه الكائنات الموجودة في ﴿مؤامرة [مجمع] القديسين﴾ حقيقية. في الفصل الأول من هذا الكتاب، استشهدت بنصّ اجتمع فيه الله بجنده السماوي، لاتخاذ قرار بشأن كيفية التخلص من الملك أخاب. وفي ذلك النص، دُعي أعضاء هذه الجماعة السماوية أرواحًا. وإن كنا نُصَدِّقُ أن عالم الأرواح حقيقي، وفيه يسكن الله والكائنات الروحية التي خلقها (كالملائكة)، فإننا لا بد أن نقر أيضًا بأن وحدة الله العسكرية الخارقة للطبيعة، التي ورد وصفها في الأعداد التي اقتبسناها أعلاه، والكثير من المقاطع الأخرى، حقيقية أيضًا. وإلا، فإننا بالواقع الروحي هو محض رياء.

وبما أن الكتاب المقدس يعرّف أعضاء هذا المجمع الإلهي بكونهم أرواحًا، نَعْلَمُ إذن أن الآلهة ليست مجرد أوثان من الحجارة أو الخشب. فإن

^١ الشرح بحسب ترجمة Good News الإنجليزية. المترجم

التمائيل لا تعمل لدى الله في مجمع سماوي. صحيح أن البشر في العالم القديم، الذين عبدوا آلهة أخرى، صنعوا بالفعل أوثانًا، إلا أنهم كانوا يعلمون أن الأوثان التي صنعوها بأيديهم ليست هي القوى الحقيقية. فإن هذه الأوثان المصنوعة باليد لم تكن سوى أشياء غير عاقلة يمكن أن تسكنها آلهتهم لقبول الذبائح، وتوزيع المعرفة على أتباعها، الذين كانوا يؤدون بعض الطقوس والشعائر لحث الآلهة على المجيء إليهم، واتخاذ الوثن مكانًا للسكنى.

الهيكل التنظيمي للمجمع وأعماله

دُعي الآلهة الوارد ذكرهم في مزمور ٨٢: ١ باسم ﴿بَنُو الْعَلِيِّ [الله]﴾ لاحقًا في المزمور نفسه (٦٤). وتظهر عبارة ﴿أبناء الله﴾ عدة مرات في الكتاب المقدس، عادةً في محضر الله (كما في أيوب ١: ٦؛ ٢: ١). ويخبرنا أيوب ٣٨: ٧ بأنهم كانوا موجودين قبل أن يبدأ الله في خلق الأرض والإنسان.

وهذا مثير للانتباه جدًّا؛ إذ يدعو الله هذه الكائنات الروحية أبناءه. وبما أنه هو الذي خلقهم، فإن لغة "العائلة" إذن تبدو منطقية، كما تصف أنت ذريتك بكلمة ابن أو ابنة لأنك اشتركت في خلقهم. لكن إلى جانب كون الله أباهم، فهو أيضًا مَلِكُهُمْ. وفي العالم القديم، عادة ما حَكَمَ الملوك من خلال عائلاتهم الممتدة. فقد كان الملك ينتقل إلى الورثة. وكانت السيادة والحكم عملاً عائليًا [family business]. إن الله هو رب وسيد مجتمعه. ويشغل أبنائه الرتبة الأعلى التي تليه مباشرة، بفضل علاقتهم به. لكن، كما سنتحدث عبر هذا الكتاب، حدث شيء ما - فقد صار البعض منهم خونة.

كما أن أبناء الله هم أيضًا صنّاع قرار [decision makers]. نعلم من املوك ٢٢ (والعديد من النصوص الأخرى) أن عمل الله تضمن التفاعل مع التاريخ البشري. وحين قرر الله أنه قد حان وقت موت أخاب الشرير، ترك لمجمعه تقرير كيفية حدوث هذا.

لم تكن اجتماعات المجمع الإلهي الواردة في مزمو ٨٢، وفي املوك ٢٢ هي الوحيدة في الكتاب المقدس ذات الصلة بنا. إن بعضًا من هذه الاجتماعات حدّد مصير إمبراطوريات.

في دانيال ٤، عاقب الله نبوخذنصر، ملك بابل، بالجنون المؤقت. وقد صدر الحكم من قبل ﴿قَضَاءُ الْعَلِيِّ﴾ (دانيال ٤: ٢٤)، و﴿قَضَاءُ السَّاهِرِينَ﴾ (دانيال ٤: ١٧). كانت كلمة الساهرين [watchers]، لفظًا يُستخدم للإشارة إلى كائنات روحية إلهية ضمن مجمع الله. وكانت تشير إلى كونهم ساهرين دائمًا على شؤون البشر، دون نوم البتة.

تخبرنا هذه المشاهد المختصة بمجسّات المجمع الإلهي بأن أعضاء مجمع الله يشتركون مع الله في الحكم. ففي بعض الحالات على الأقل، يُصدر الله حكمه بما يريده أن يحدث، لكنه يمنح وكلاءه من الكائنات الفائقة للطبيعة الحرية لتقرير وسيلة التنفيذ.

والملائكة أيضًا يشاركون في مجمع الله. ففي اللغات الأصلية للكتاب المقدس، الكلمات التي ترجمت "ملاك" [angel] في العهدين القديم والجديد تعني فعليًا "رسول" [messenger]. فإن كلمة ملاك هي في الأساس توصيف وظيفي.

الملائكة يُسلمون رسائل للبشر. وستتعلم المزيد عن الملائكة ومهامهم، بالإضافة إلى المهام الأخرى لأعضاء مجمع الله، لاحقاً في هذا الكتاب.

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

ردة فعلك تجاه كل ما قرأته في هذا الكتاب حتى الآن يمكن أن تكون شيئاً من قبيل: «هذا أمر مبهر؛ لم أرَ ذلك في الكتاب المقدس من قبل. لكن ما هي التطبيقات الناتجة عن جميع هذه المعلومات، إن وُجدت، على حياتي اليومية، وعلى كيفية أداء كنيسة لوظيفتها؟» والإجابة هي أن الحقائق التي يعرضها هذا الكتاب لها كل الصلة بفهمنا لمن هو الله، ولعلاقتنا به، ولما هو غرضنا هنا على الأرض. وللمساعدة على توضيح هذا، سأختم كل فصل بقسم كهذا يوضح التطبيقات العملية لحقائق ذلك الفصل.

تحدثنا في هذا الفصل عن كيفية وصف الكتاب المقدس لإدارة الله الكونية، وما هي المفاهيم العميقة التي تمدنا بها تلك الأوصاف عن الله، وفي النهاية، عن علاقته بنا.

أولاً، يعد العمل العائلي السماوي الذي يخص الله نموذجاً لكيفية تعامله مع عائلته الأرضية. وسنتحدث عن ذلك بمزيد من التفاصيل في الفصل التالي، لكن إليك مثال: ربما كنت تتساءل لماذا يحتاج الله إلى مجمع على أية حال. لا ينبغي أن يكون الله في حاجة إلى مساعدة لفعل أي شيء، حتى في العالم الروحي. فهو الله! لكن الكتاب واضح بشأن استخدام الله لكائنات أدنى منه لإتمام الأعمال.

هو ليس محتاجًا إلى مجمع إلهي، لكنه يختار الاستفادة منه. كما أنه ليس في حاجة إلينا. فإن أراد الله، يمكنه أن يكتفي بأن يرفع صوته مخاطبًا جميع البشر المحتاجين للإنجيل، ويقدم للجميع كل التشجيع الذي يحتاجونه كي يرجعوا إليه، ثم يدعو هذا أنه حسن. وكان بإمكانه إقناع البشر بأن يحبوا الآخرين بأن يضع كلامه في عقولهم. لكنه لا يفعل هذا، بل يستخدم بشرًا -أنت وأنا- لإتمام هذا العمل.

ثانيًا، كان بإمكان الله أن يكتفي بتعيين الأحداث مسبقًا ليجعل كل شيء يحدث كما يريد. لكنه لا يفعل هذا. ففي قصة الملك أخاب، سمح الله لمعاونيه السمائيين بأن يقرروا كيفية تنفيذ مشيئته. بكلمات أخرى، سمح الله لهم باستخدام إرادتهم الحرة. ويخبرنا هذا بأن ليس كل شيء معيّنًا مسبقًا. وهذا ينطبق لا على العالم غير المنظور فحسب، بل أيضًا على عالمنا هذا.

في الكتاب المقدس، للعالم غير المنظور هيكل تنظيمي. فإن الله هو الرئيس التنفيذي [CEO]. ومن يعملون لديه هم عائلته وأهل بيته. وهم مشتركون معه في السلطان، أي مشاركون في إدارة الشركة.

ومن المذهل للغاية أن يتحدث الكتاب المقدس عن البشر بالطريقة نفسها. فمنذ البدء في جنة عدن، خلق الله البشري يتسلطوا على الأرض معه. فقد قال الله لآدم وحواء: ﴿أَثْمِرُوا وَاكْتُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا [بحسب ترجمة Good News الإنجليزية: أنجبوا أولادًا كيما يسكن نسلكم في جميع أنحاء الأرض ويضعوها تحت سيطرتهم.]﴾ (تكوين ١: ٢٨). كان آدم وحواء ابني

الله، أي عائلة الله الأرضية. وأراد الله أن يحيا معهما، وأن يسمح لهما بالاشتراك معه في جعل كل الأرض كجنة عدن.

يعد هذا مفهومًا مألوفًا لدى غالبية القراء. لكن ما يغيب عنهم بشكل كبير هو أن آدم وحواء لم يكونا الفردين الوحيدين في عائلة الله في جنة عدن، فقد كانت عائلته الإلهية أيضًا هناك. كانت جنة عدن هي موضع سُكنى الله، وحيث يسكن الله، تسكن عائلته معه أيضًا. نحن نفكر في السماء باعتبارها المكان الذي سنسكن فيه مع الله وملائكته—أي عائلته الإلهية. كانت هذه هي الحال المقصودة في الأصل، وهذا هو ما سيكون. وليس من قبيل الصدفة إذن أن يُختم الكتاب المقدس بعودة السماء إلى الأرض، في هيئة جنة عدن جديدة، كونية (رؤيا يوحنا ٢١-٢٢).

وكي نفهم مصيرنا، يلزمنا أن نرجع بالزمن إلى ذلك الوقت حيث شغلت عائلتنا الله المكان ذاته. يلزمنا أن نعود إلى جنة عدن.

الفصل الثالث

ملوك في الماضي وفي المستقبل

تناولنا فيما سبق مقدمة موجزة عن مجمع الله السماوي -أي عائلته غير المنظورة ووحده العسكرية. لكن يوجد المزيد حول هذا الموضوع؛ إذ يلزمنا أن ننظر، بالأخص، إلى المكان الذي يشغله لاعبان رئيسيان، مثل يسوع وإبليس داخل هذه الصورة. لكن قبل أن نعود إلى ما يجري في العالم غير المنظور، يلزمنا أن نفكر عن أنفسنا بشكل مختلف. فإن حُكم الله في العالم الروحي غير المنظور من خلال مجمه يعد نموذجًا لحكمه على الأرض -وهذا ما يُطلَقُ عليه علماء اللاهوت ملكوت الله. بدأ كل هذا في سفر التكوين، في جنة عدن.

عدن: مقر الله الإداري

ما هو أول شيء يتبادر إلى ذهنك حيت تسمع عبارة "جنة عدن"؟ غالبية من تحدثت معهم يفكرون في آدم وحواء. كانت جنة عدن منزلهما، حيث وضعهما الله (تكوين ٢: ١٥-٢٥).

لكن كانت جنة عدن أيضًا بيت الله. يشير حزقيال إلى جنة عدن بكونها ﴿جنة الله﴾ (حزقيال ٢٨: ١٣؛ ٣١: ٨-٩). وفي الحقيقة، ليس هذا مثيّرًا للدهشة. لكن ما قد يثير دهشتنا حقًا هو أن يدعو حزقيال جنة عدن ﴿جَبَل

اللهِ الْمُقَدَّسِ ﴿ بعد أن دعاها ﴿جنة الله﴾ مباشرة (حزقيال ٢٨: ١٤). في الكثير من الديانات القديمة، كانت الجنات والبساتين المترفة، والجبال المنيعة، تعتبر بيت الآلهة. ويستخدم الكتاب المقدس كلا الوصفين لجنة عدن. كانت جنة عدن بيت الله، وبالتالي، كانت هي المكان الذي أدار منه أعماله. كانت هي مقره الرئيسي [headquarters]، أو مقره الإداري [home office].

وحيث يكون الله، يكون مجمه معه.

حَمَلَةُ صُورَةِ اللَّهِ

نتعلم من أحد أهم المقاطع في الكتاب المقدس أن الله ومجمعه كانا كليهما في جنة عدن. في تكوين ١: ٢٦ يقول الله: ﴿نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا.﴾ يعلن الله إلى جماعة، ما كان ينتويه. إلى من كان يتحدث؟ إلى جنده السماي -مجمعه. لم يكن الله يخاطب أقنومي الثالث الأخرين، لأن الله لا يمكنه أن يعرف شيئاً لا يعرفانه! أما هنا فالجماعة التي كان الله يخاطبها كان ينبغي أن يُعَرَّفَها بالقرار الذي اتخذته.

يسهل فهم هذا الإعلان. يبدو الأمر كأنني أقول لبعض الأصدقاء: «هيا نشترى البيتزا! لنفعل هذا!» هذا واضح بما يكفي. لكن يوجد شيء آخر لا نريده أن يفوتنا. فإن الله في حقيقة الأمر لم يُشرك معه هذه الجماعة في تنفيذ قراره.

على خلاف جلسات المجمع الإلهي الأخرى التي أطلعنا عليها، لا يشترك أعضاء مجمع الله في هذا القرار. حين حُلِقَ الجنس البشري في الآية التالية

(تكوين ١: ٢٧)، كان الله وحده هو القائم بعمل الخلق. فإن خلق البشر كان شيئاً تولاه الله بنفسه. وعودةً إلى مثال البيتزا، فإن تَبِعْتُ إعلاني باصطحاب الجميع بسيارتي إلى موضع شراء البيتزا، وياصراري على دفع ثمنها، فإنني أكون بذلك القائم بكل العمل. وهذا هو ما نراه يحدث هنا.

من المنطقي أن يكون الله وحده هو من خلق البشر. فإن الكائنات الإلهية في مجمه لا تملك هذه القدرة. لكن هذا يؤدي بنا إلى نوع آخر من الغرابة. في تكوين ١: ٢٧، خُلِقَ البشر على صورة الله ﴿فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ﴾. ماذا حدث هنا للكلمة ﴿صورتنا﴾ [في صيغة الجمع] الواردة في الآية ٢٦؟

لم يحدث شيء، فعلياً. بل إن التبادل الذي وقع في تكوين ١: ٢٦-٢٧ بين ﴿صورتنا﴾ و﴿صورته﴾ يكشف عن شيء مذهل. فإن تصريح الله ﴿نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا﴾ - يعني أنه هو ومن كان يخاطبه يشتركان في شيء ما. وأياً كان ذلك الشيء، فإن البشر أيضاً كانوا عتيدين أن يشتركوا فيه بمجرد أن يخلُقهم الله. فإننا لسنا كالله فحسب بطريقة ما، بل إننا أيضاً نشبه الكائنات الإلهية الموجودة في مجمه.

هذا "الشيء" المشترك تنقله لنا عبارة ﴿صورة الله﴾. وربما أن ترجمة أفضل لنص تكوين ١: ٢٦ هي أن الله خلق البشر ليكونوا صورته [as his image]. فأن تكون إنساناً هو بمثابة أن تكون حاملاً لصورة الله. نحن ممثلو الله، إن جاز القول.

ليست صورة الله هي إمكانيةً أعطانا الله إياها، كالفتنة أو الذكاء. يمكننا أن نفقد الإمكانيات، لكن لا يمكن أن نفقد حالتنا بوصفنا حاملي صورة الله.

فإن هذا سيتطلب ألا نكون بشرًا! كل بشر، منذ الحبل به وحتى الموت، سيظل دائمًا بشرًا، وسيظل دائمًا حاملًا بصورة الله. ولهذا تعد الحياة البشرية مقدسة.

وكيف نمثل الله؟ رأينا في الفصل السابق أن الله يُشارك سلطانه مع الكائنات الإلهية لوحده العسكزية غير المنظورة. وهو يعمل الشيء ذاته مع البشر على الأرض. فإن الله هو الملك الأعلى على العالم المنظور وغير المنظور، على كل ما يُرى وما لا يُرى. فهو يملك، ويُشرك عائلته في العالمين الروحي والبشري في ذلك الملك. ونحن موجودون هنا كي نشترك في حُطة الله كي نجعل العالم كما يريد الله تمامًا، وكي نستمتع به معه.

وفي التَّهية، أَرانا الله كيف ينبغي أن نفعَل ذلك. فإن يسوع هو النموذج المطلق لتمثيل الله. فهو يُدعى صورة الله غير المنظور (كولوسِّي ١: ١٥)، ورسم جوهر الله (عبرانيين ١: ٣). ولهذا السبب ينبغي لنا أن نقتدي بيسوع (رومية ٨: ٢٩؛ ٢ كورنثوس ٣: ١٨).

مجمعان، ومصيرٌ واحدٌ

هناك مغزى من كل هذا أرجو أن تدركه. فإن البشر هم في الأساس حكومة الله — أي مجمه — على الأرض. فقد خُلِقنا كي نحيا في محضر الله، مع عائلته السماوية. خُلِقنا كي نتمتع به، ونخدمه إلى الأبد. وفي الأصل، كان هذا معيَّنًا حدوثه أيضًا على الأرض. كانت عدن هي الموضع حيث السماء والأرض تتداخلان. فقد كان الله وأعضاء مجمه يشغلون الموضع ذاته مثل البشر.

لكن ما الغاية من وراء ذلك؟

أوصى الله آدم وحواء قائلاً: ﴿أَثْمِرُوا وَاكْتُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ.﴾ (تكوين ١: ٢٨). كانت هذه هي المهمة الموكلة لحاملي صورة الله. كان عليهم أن يخدموا الله كملوك وكلاء عنه [steward kings] على الخليقة. كانت وظيفة البشر تقتضي أن ينتشروا في الأرض، وأن يمدوا، أي يوسّعوا جنة عدن حتى تشمل الكوكب بكامله - كي يزيدوا من نطاق وحجم ملكوت الله. كانت تلك الوظيفة أكبر من إمكانيات شخصين، وبالتالي أراد الله من آدم وحواء أن ينجبا أولادًا.

وكما نعلم، أخفق آدم وحواء وذريتهما. أخطأ البشر. ولو لم يحدث هذا، لكانت الأرض قد تحولت تدريجيًا إلى جنة عدن كونية، ولتمتعنا بحياة أبدية فوق كوكب مثالي بلا عيب، مع الله ومع عائلته الروحية.

أحبَّ الله البشر، ولذا صَفَحَ عن آدم وحواء. لكن من تلك اللحظة فصاعدًا، قُدِّرَ لبقية البشرية أن تحذوَ حذو آدم وحواء. فإننا نخطئ جميعًا، ونستحق الموت، لولا تدخل الله (رومية ٦: ٢٣). نحن فانون وزائلون، وبالتالي خطاة. نحن نحتاج إلى الخلاص.

تساعدنا فكرة رغبة الله في أن ننضم إلى عائلته الإلهية، لنكون جزءًا من مجمه ونحيا في محضره، على فهم بعض الأشياء الرائعة والمذهلة، التي يقولها الكتاب المقدس.

فهي تُفسَّرُ لماذا يشير الكتاب المقدس إلى كون المؤمنين ﴿أبناء الله﴾ أو ﴿أولاد الله﴾ (يوحنا ١: ١٢؛ ١١: ٥٢؛ غلاطية ٣: ٢٦؛ ١ يوحنا ٣: ١-٣)، وتُفسَّرُ لماذا يوصف المؤمنون بكونهم "أبناءً بالتبني" في عائلة الله (غلاطية ٤: ٥-٦؛ رومية ٨:

٦-١٤)، وتُفسَّر لماذا يقال إننا "ورثة" الله وملكوته (غلاطيَّة ٤: ٧؛ تيطس ٣: ٧؛ يعقوب ٢: ٥)، و"شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بطرس ١: ٤؛ انظر أيضًا ١ يوحنا ٣: ٢). كما تُفسَّر لماذا يقول يسوع إنه بعد مجيئه ثانية سيتيح للمؤمنين الأكل ﴿مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسَطِ فِرْدَوْسِ اللَّهِ﴾ (رؤيا يوحنا ٢: ٧). وتُفسَّر وَعَدَّ اللَّهُ بِأَنْ نَشَارِكُهُ حُكْمَ الْأُمَمِ (رؤيا يوحنا ٢: ٢٦-٢٨)، بل ونجلس معه في عرشه (رؤيا يوحنا ٣: ٢١). إذن نحن في هذه الحياة نتقدم إلى الأمام رجوعًا إلى جنة عدن. السماء ستُرجَعُ إلى الأرض.

هذا ما سنفعله في الحياة ما بعد الموت؛ سنملك في جنة عدن الكونية الجديدة. وسنمتع بما عُيِّنَ في الأصل لآدم وحواء أن يساعدا في حدوثه. لا تتعلق الحياة الأبدية بعزف القيثارات، والتسبيح الدائم؛ لكنها تتعلق باكتشاف الخليقة المثالية التي لا تشوبها شائبة، والتلذذ بها، في كل كمالها فائق التصور، مع الله نفسه، ومع يسوع المُقام من بين الأموات، ومع الآخرين من حاملي صورة الله، بشرًا كانوا أم كائنات خارقة للطبيعة.

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

ربما لا يبدو الأمر كذلك، لكن تنشأ الكثير من الأفكار المُعَيَّرَةِ للحياة من كل هذا. فأن نحيا مدركين أن حياتنا تمثل الله، وتساهم في تقدم خطته - وإن كنا لا نرى تلك الخطة بعد- من شأنه أن يغير طريقة تعاملنا مع كل يوم من أيام حياتنا.

كانت حُطة الله الأصلية تقتضي جعل الأرض بكاملها مثل جنة عدن. أراد الله أن يشترك البشر في توسيع حُكمه الصالح ليشمل كل الأرض، كما كان في جنة عدن. فقد أوصى آدم وحواء بأن ينجبا أولادًا، ويصيرا سيّدَيْن على الخليقة ونائبَيْن عنه (تكوين ١: ٢٦-٢٨). لم تذهب هذه الوصية أدراج الرياح بعد السقوط. بل في حقيقة الأمر، تكررت الوصية بعد أحداث الطوفان المرعبة (تكوين ٨: ١٧؛ ٩: ١). وعلى الرغم من خسارة جنة عدن، لكن الله ينتوي استعادتها. ففي النهاية، سيعود حكمه -ملكوته- ثانية في نطاقه الكامل حين يأتي يسوع ثانية، ويخلق الله سماءً جديدةً وأرضًا جديدةً (كثيرة الشبه بجنة عدن، بحسب رؤيا يوحنا ٢١-٢٢). في غضون ذلك، يقتضي عملنا أن ننشر الحق الإلهي وإنجيل يسوع في كل مكان. وأيضًا أن نُمثّل الله أمام كل من نقابله، وفي كل مكان. نحن وكلاء الله، كي نستعيد جنة عدن في الزمان والمكان الحاضرَيْن، منتظرين بفاغ الصبر ذلك اليوم الذي فيه سيكشف يسوع عن ذروة تلك الحُطة ويصل بها إلى فصلها الأخير.

وَعَيْنًا بكوننا وكلاء الله -أي حاملي صورته- يعني أن القرارات التي نتخذها لها أهمية. فإن المؤمنين، الذين لم يعودوا بعد ضالين وهالكين في الخطايا، يستطيعون إتمام حُطة الله بمعونة الروح القدس. فإننا موجودون هنا كي ننشر جودة الحياة مع الله، وكي نخبر الناس الذين في حاجة إلى الإنجيل كيف يمكن أن يتمتعوا هم أيضًا بهذه الحياة. إن حياتنا تتداخل مع حياة الكثير من الناس. وتفويض ذكرياتهم بتلك اللقاءات عبر حياتهم، وعبر جميع من تتلامس حياتهم معهم. نحن لمحّة، إما عن حياة مع الله أو عن حياة بدون الله. لا توجد أرض متوسطة بينهما.

أيضًا، ينبغي لمعرفتنا بأن جميع البشر هم حملة صورة الله أن تدفعنا إلى إدراك قداسة الحياة البشرية. ولا يقف هذا فقط عند القرارات الأخلاقية الخطيرة التي تتعلق بالحياة والموت. إن ما تعلمناه له تأثير على قدر كبير من نظرتنا بعضنا لبعض، ومن كيفية تعاملنا بعضنا مع بعض. لا مكان للتمييز العنصري في عالم الله. ولا يتوافق الظلم مع تمثيل الله. كما أن إساءة استغلال السلطة - في المنزل، أو العمل، أو في الحكومات - هو آثم وشرير. لم يتعامل الله هكذا مع أولاده في جنة عدن، وبالتالي لا مجال لهذا في تعاملنا مع الآخرين حملة صورته.

وأخيرًا، تمثيل الله يعني أن كل عمل يكرمه هو دعوة روحية. يمكن لكل جهد شريف وذو قيمة نقوم به أن يكون جزءًا من تحريك عالمنا من الطريق الذي يسير فيه الآن إلى طريق جنة عدن، ومباركة كل الذين خُلِقوا على صورة الله - أو لا. لا يُعتبر الله من هم في الخدمة الرعوية أكثر قداسة، أو في مكانة مميزة، بسبب توصيفهم الوظيفي. بل بالأحرى، يهتم الله بكيفية تمثيل كل واحد منا له في كل مكان نوجد فيه. فإما أننا نقاوم الظلمة، مقدمين الحياة التي يريد الله لكل إنسان أن يجتبرها بالتمام، أو لا. لا يلزم أن تكون الفرصة مبهرة واستثنائية، بل ما يلزم هو فقط اغتنامها.

بقدر روعة قصد الله لجنة عدن، سرعان ما خمدت الرؤية. الله وحده كامل. والحرية حين توضع في أيدي كائنات ناقصة - حتى إن كانت إلهية - يمكن أن تؤدي إلى نتائج كارثية.

الفصل الرابع

أفعال التمرد الإلهية

اخْتَمَّتُ الفصلَ السابقَ بفكرة أن الحرية حين تكون في أيدي كائنات ناقصة، سواء كانت إلهية أو بشرية، يمكن أن تؤدي إلى نتائج كارثية. وما هذا إلا تصريح مُخَفَّف. وبعض الكوارث التي وقعت في الأصحاحات الأولى من الكتاب المقدس، تضمنت كلها كلاً من كائنات بشرية وكائنات فائقة للطبيعة، توضّح هذه الفكرة جيداً.

تَدَكَّر أن الله قرَّر أن يشارك في حُكمه وسلطانه كلاً من الكائنات الروحية في العالم الخارق للطبيعة والكائنات البشرية على الأرض. كانت هذه هي خلفية قول الله: ﴿نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا [ضمير المتكلم الجمع]﴾ (تكوين ١: ٢٦)، وهي أيضاً خلفية خلق الله للبشر بعد هذا على صورته [ضمير الغائب المفرد]. إن كلاً من الكائنات الروحية والبشر هم حاملو صورة الله، أو ممثليه. ونحن نشاركه سلطانه، ونمثله باعتبارنا مشاركين له في الحكم [co-rulers].

من ناحية، كان هذا القرار رائعاً. وتعد حرية الإرادة جزءاً من كوننا على شبه الله. لم يكن بإمكاننا أن نكون مثله لو لم نمتلك هذه الحرية. دون حرية الإرادة تتلاشى مفاهيم كالمحبة وبذل الذات. لو كنت مبرمجاً كي "تحب"، فلا قرار لك في هذا. ومحبةٌ مثل هذه هي -إذن- محبة غير حقيقية. فالكلمات والتصرفات المكتوبة في سيناريو ليست كلمات وتصرفات حقيقية. يعيدني التفكير في هذا

الأمر إلى الجزء الأخير من سلسلة أفلام "Star Wars" [حرب النجوم] الأصلية، الذي كان بعنوان "The Return of the Jedi" [عودة الجيادي]. قالت روح "أوبي وان كينوي" لـ "لوك" بأن أباه، "دارث فيدر"، «صار الآن آلة لا إنساناً». ومع ذلك، نجد في النهاية أن هذا لم يكن صحيحًا. فقد أنقذ "فيدر لوك" من الإمبراطور بأدلاً حياته. لم يكن مجرد آلة مبرمجة، بل نبع قراره من القلب، من بشريته -من إرادته الحرة.

لكن يوجد جانبٌ مظلمٌ في قرار الله هذا. إن منح الحرية لكائنات عاقلة يعني أن تلك الكائنات تستطيع اتخاذ قرارات خاطئة، أو التمرد عن عمد، بل إن هذا ما ستفعله بالتأكيد؛ بما أن الله وحده هو الكائن الكامل بحق. فلا يمكنه الوثوق في أحد سوى نفسه. ولهذا كان من الممكن للأحوال أن تسوء في جنة عدن، وهذا هو ما حدث بالفعل.

اضطراب في الجنة

فَكَرَّ في الوضع في جنة عدن. لم يكن آدم وحواء وحدهما. كان الله هناك مع مجمه. وكانت جنة عدن هي المقر الرئيسي الإلهي/البشري "الإخضاع" بقية الأرض (تكويين ١: ٢٦-٢٨) -أي مد حياة جنة عدن إلى بقية الكوكب. لكن أحد أعضاء هذا المجمع لم يكن مسرورًا بخطط الله.

كما رأينا في تكويين ١، يوجد في تكويين ٣ ما يُلمح إلى أن جنة عدن كانت مسكنًا لكائنات إلهية أخرى. ففي عدد ٢٢، بعد أن أخطأ آدم وحواء، قال

الله: ﴿هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْحَيَّرَ وَالشَّرَّ﴾ تُمَثِّل تلك العبارة الدلالة نفسها التي رأيناها في تكوين ١: ٢٦ ﴿على صورتنا﴾.

نَعَلَمُ أن الحية، وهي الشخصية الرئيسية في تكوين ٣، لم تكن حَقًّا ثعبانًا. بل لم تكن في الواقع حيوانًا. ولا آيَّة محاولة لوضعها وراء زجاج في حديقة حيوان كانت لتُجدي نفعًا، ولم تكن هي لتستمتع بذلك. فقد كانت هذه الحية كائنًا إلهيًا، يُعرِّفه سفر الرؤيا ١٢: ٩ بأنه ﴿إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ﴾.

يَفْتَرِضُ بعض المؤمنين، بناء على رؤيا يوحنا ١٢: ٧-١٢، وقوع تمرد من ملائكة بعد الخلق بفترة وجيزة:

﴿وَحَدَّثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلَائِكَتُهُ حَارَبُوا التَّنِّينَ، وَحَارَبَ التَّنِّينُ وَمَلَائِكَتُهُ وَلَمْ يَقْوُوا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ. فَطَرِحَ التَّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طَرِحَ إِلَى الْأَرْضِ، وَطَرِحَتْ مَعَهُ مَلَائِكَتُهُ.﴾ (رؤيا يوحنا ١٢: ٧-٩)

لكن الحرب التي اندلعت في السماء، الموصوفة في هذا النص، مرتبطة بميلاد المسيا (رؤيا ١٢: ٤-٥، ١٠)

﴿وَالتَّنِّينُ وَقَفَّ أَمَامَ الْمَرْأَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَلِدَ، حَتَّى يَبْتَلِعَ وَلَدَهَا مَتَى وَلَدَتْ. فَوَلَدَتْ ابْنًا ذَكَرًا عَتِيدًا أَنْ يَرَعَى جَمِيعَ الْأُمَمِ بَعْصًا مِنْ حَدِيدٍ. وَاخْتِطَفَ وَلَدَهَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عَرْشِهِ...﴾

وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا قَائِلًا فِي السَّمَاءِ:

الآن صَارَ خَلَاصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ

وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ،

لَأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا،

الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَارًا وَلَيْلًا. ﴿

ولم يُعْطِ الكتاب المقدس قبل وقوع أحداث جنة عدن أيّة إشارة إلى مقاومة أيّ من حملة صورة الله -سواء كانوا بشرًا أو آلهة- لمشيئة الله أو تمردهم عليها. لكن الأحوال تغيّرت على نحو دراماتيكي في تكوين ٣.

كان الجرم الذي ارتكبه الحية يكمن في كونها اختارت بِحُرِّيَّةٍ أن ترفض سلطان الله. كان الله قد عيّن أن يَنْصَمَّ آدَمُ وحواء إلى عمل العائلة، إن جاز القول. وقد كانا مكلّفين بأن يوسّعا جنة عدن على الأرض. لكن العدو لم يرغب في وجودهما هناك. وهكذا، وضع نفسه مكان الله، إذ قال في قلبه: ﴿أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّ فَوْقَ كَوَاكِبِ اللَّهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ [الترجمة الإنجليزية: "جبل الآلهة"، mountain of the gods]﴾ (إشعيا ١٤: ١٣).

لكنه تلقى من الله تنبيهاً وإفاقة قاسيين. منذ أدى خداع الحية إلى سقوط آدم وحواء في الخطية، طُرد الشيطان خارج جبل أو بيت الله (حزقيال ٢٨: ١٤-١٦) ونُفي إلى الأرض -﴿فُقِطِعَتْ [طُرِحَتْ] إِلَى الْأَرْضِ﴾ بتعبير الكتاب المقدس (إشعيا ١٤: ١٢) - حيث يملك الموت، وحيث الحياة ليست أبدية. وبدلاً من أن يكون سيد الحياة، صار سيد الأموات، ما يعني أن العدو الأكبر الآن صار له حق شرعي في جميع البشر، بما أن أحداث عدن كانت تعني فقدان الخلود الأرضي. صارت البشرية الآن تحتاج إلى الفداء كي تنال حياة أبدية مع الله في جنة عدن جديدة.

شكّل السقوط سلسلة من اللعنات. وتضمنت اللعنة على الحية قدرًا من النبوة. قال الله إن نسل حواء ونسل الحية سيكونان في عداوة: ﴿فَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهُ لِلْحَيَّةِ: ﴿... وَأَصْعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا﴾ (تكوين ٣: ١٤-١٥). مَنْ هُمْ نسل حواء؟ البشر. ومن هم نسل الحية؟ حسنا، الإجابة عن هذا أصعب. يعطينا الرسول يوحنا أمثلة لهؤلاء -القادة اليهود الذين أبغضوا يسوع، فقال لهم: ﴿أَنْتُمْ مِنْ أَبِي هُوَ إِبْلِيسُ﴾ (يوحنا ٨: ٤٤). وقد دعا يسوع مُسَلِّمَهُ، يهوذا، "شَيْطَانًا" (يوحنا ٦: ٧٠). نسل الحية إذن هو أي إنسان يقاوم خُطة الله، مثلما فعلت الحية تمامًا.

النسل الفاسد

لم يستغرق الأمر كثيرًا لتنشأ المزيد من الاضطرابات. أحد أبناء آدم وحواء صار قاتلاً. قتل قايين هابيل، مُظهرًا بهذا أنه كان ﴿مِنَ الشَّرِّيرِ﴾ (يوحنا ٣: ١٢). وحسبما ازداد عدد البشر في الأرض في القصة الكتابية، هكذا ازداد الشر (تكوين ٦: ٥).

نأتي الآن إلى تعدد آخر فائق للطبيعة كان، على الرغم من عدم ذكره كثيرًا في عظات صباح الآحاد، له تأثير ضخم على انتشار الشر في الأرض. وهذه المرة كان هناك أكثر من متمرّد واحد. إن عدوى الشر التي انتقلت عبر البشر في تكوين ٦: ٥ لها ارتباط بالقصة المذكورة في تكوين ٦: ١-٤، عن أبناء الله الذين أنجبوا أبناءهم الأرضيين الذين عُرفوا باسم الجبابرة [Nephilim].

لا يذكر الكتاب المقدس المزيد عما حدث في سفر التكوين، لكن أجزاء أخرى من القصة تبرز في مواضع أخرى من الكتاب المقدس، وفي التقاليد اليهودية خارج الكتاب المقدس، التي كان كتبة العهد الجديد على دراية بها جيدًا، واقتبسوا منها في كتاباتهم.

على سبيل المثال، كَتَبَ بطرس ويهوذا عن الملائكة الذين أخطأوا قبل الطوفان (٢ بطرس ٢: ٤-٦؛ انظر أيضًا يهوذا ٥-٦). والبعض مما قالاه مستمدٌ من مصادر يهودية خارج الكتاب المقدس. يقول بطرس ويهوذا إن أبناء الله الذين ارتكبوا هذا التعدي قد حُبسوا في سجن تحت الأرض -بكلمات أخرى، كانوا يقضون فترة سجنهم في الجحيم- حتى حلول الأيام الأخيرة. وسيكون هؤلاء جزءًا من دينونة الله الأخيرة، تلك التي يطلق عليها الكتاب المقدس ﴿يوم الرب﴾.

إن دارسي الكتاب المقدس على دراية جيدة بمصادر بطرس ويهوذا. كان أحد هذه المصادر هو سفر أخنوخ الأول. وكان هذا السفر شائعًا بين اليهود في زمن يسوع، وبين المسيحيين في الكنيسة الأولى، مع أنه لم يكن يعتبر مقدسًا وموحىً به. لكن رأى بطرس ويهوذا أن البعض من ذلك المحتوى كان مهمًا بما يكفي لإدراجه في الرسائل التي كتبها.

تُحْمَنُ هذه المصادر أن أبناء الله إمَّا أنهم أرادوا "مساعدة" البشر بمنحهم معرفة إلهية ثم انخرفوا عن غايتهم، أو أنهم أرادوا أن يقلدوا الله بأن يخلُقوا مَنْ يحملون صورتهم. كما تحوي هذه المصادر أيضًا شرحًا لمصدر الأرواح الشريرة، أي من أين جاءت الأرواح الشريرة. فإن الأرواح الشريرة هي الأرواح التي خرجت من أجساد الجبابرة الأموات الذين قُتلوا قبل الطوفان وفي أثنائه. وهي

تطوف الأرض لتزعج البشر وتكدرهم، وتسعى إلى أن تلبس أجسادًا من جديد. وفي أسفار الكتاب المقدس التي تلي سفر التكوين، دُعي نسل الجبابرة الوارد ذكرهم في تكوين ٦: ١-٤ العناقين [Anakim] والرفائيين [Rephaim] (عدد ١٣: ٣٢-٣٣؛ تثنية ٢: ١٠-١١). يظهر بعض هؤلاء الرفائيين في الهاوية، عالم الأموات السفلي (إشعيا ١٤: ٩-١١) حيث طُرحت الحية. ولاحقًا سيدعو كُتّاب العهد الجديد ذلك المكان الجحيم [hell].

تُبَيّن هذه الأفكار أن الكُتّاب اليهود الأوائل فهموا جيدًا التهديد الذي يعرضه تكوين ٦: ١-٤. كان أبناء الله يحاولون إعادة صياغة جنة عدن بطريقتهم الخاصة، بحيث تتعايش الكائنات الإلهية والبشرية معًا. لقد افترضوا أنهم يعرفون أفضل مما يعرفه الله بشأن ما يجب يحدث على الأرض، كما افترض العدو الأول أيضًا. وهكذا انتهت محاولة تبديل خُطة الله لاسترداد حكمه إلى جعل الموقف السيء يزداد سوءًا.

لم تكن حادثة تكوين ٦: ١-٤ مجرد صدّي مُرَوِّعًا لنسل الحية -أي مقاومة الله عن عمد- بل كانت أيضًا مقدمة لأشياء أسوأ ستحدث مستقبلًا. فخلال أيام موسى وديشوع، كان بعض الخصوم الذين اصطدم بهم بنو إسرائيل عند محاولتهم الاستيلاء على أرض الموعد قبائل متناثرة من العمالقة (تثنية ٢-٣). دُعي هؤلاء العمالقة بأسماء مختلفة. في عدد ١٣: ٣٢-٣٣، دُعوا العناقين [Anakim]. وقيل عنهم بالتحديد إنهم النسل الحي للجبابرة [Nephilim] -أي نسل أبناء الله المكتوب عنهم سابقًا في تكوين ٦: ١-٤. ويخبرنا العهد القديم بأن بني إسرائيل ظلوا يحاربون هؤلاء الأعداء العمالقة حتى زمن داود. فقد قتل داود

جليات (اصموئيل ١٧)، وقتل بعض من رجاله إخوة جليات للقضاء على تهديدهم نهائيًا (٢صموئيل ٢١: ١٥-٢٢).

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

تعد اللعنة النبوية على الحية، والتعدي الإلهي الذي تلاها، بمثابة المراحل الأولى لما يطلق عليه علماء اللاهوت الحرب الروحية -أي الصراع بين الخير والشر، تلك الحرب الطويلة الأمد ضد الله وشعبه. وهي حرب تدور فوق ساحات قتال في عالمين: العالم المنظور، والعالم غير المنظور.

بقدر غرابة هذه القصص، إلا أنها تُعَلِّمُ درسًا مهمًّا: واجه الله منافسة إلهية فيما يتعلق بمصير البشر. ولا يزال هذا مستمرًّا. فإن مقاومة مشيئة الله للأرض وللشرك لا تزال قائمة، في كل من العالم الروحي، وضمن الجنس البشري. لكن الله لديه خُطْطُهُ التي تختص بكيفية توحيد السماء والأرض معًا ثانية. الاعتراضات العدائية لن تَمُرَّ دون عقاب. فالبشرية قيمتها ثمينة للغاية. ولن تتبدل خُطَّةُ الله لعائلته البشرية أو تُحْبَط.

أيضًا تُعَلِّمُ هذه النصوص دروسًا إيجابية. في حين ترجع الحرب الطويلة ضد الله إلى وقت اتخاذ الله قرارًا بخلق من يحملون صورته، بشرًا وآلهة، يشتركون معه في صفة الحرية، إلا أن الله ليس هو مصدر الشر أو عِلَّتُهُ.

لا يوجد أيُّ تلميح في الكتاب المقدس إلى حثِّ الله لحملة صورته على العصيان، أو إلى أن عصيانهم كان معينًا مسبقًا. فإن معرفة الله للمستقبل لا تعني أن المستقبل معينٌ مسبقًا. نعلم ذلك يقينًا من نصوص مثل ١صموئيل ٢٣:

١-١٤، الذي يخبرنا عن قصة إنقاذ داود لمدينة قعيلة المحاطة بسور، من يد الفلسطينيين. فبعد انتهاء المعركة، عَلِمَ شاول بأن داود في المدينة. لقد كان شاول يحاول قتل داود منذ فترة بدافع خوف مَرَضِيٍّ (بارانويدي) من أن يستولي داود في المستقبل على عرشه. فأرسل شاول جيشًا إلى قعيلة، راجيًا محاصرة داود داخل أسوار المدينة. وحين سمع داود بِمُحْطَةِ شاول، سأل الله، قائلاً:

«فَهَلْ يُسَلِّمُنِي أَهْلُ قَعِيلَةَ لِيَدِهِ؟ هَلْ يَنْزِلُ شَاوُلُ كَمَا سَمِعَ عَبْدُكَ؟ يَا رَبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، أَخْبِرْ عَبْدُكَ.»

«فَقَالَ الرَّبُّ: يَنْزِلُ ... يُسَلِّمُونَ.» (١صموئيل ٢٣: ١١-١٢)

حينئذ فعل داود ما كان ليفعله أي شخص فينا -خَرَجَ من المدينة بأسرع ما يمكن. وهذا يخبرنا بأن عَلِمَ الله السابق بالأحداث لا يعني أنها مُعَيَّنَةٌ مسبقًا أو مُحْتَمَّةٌ. فإن الله، بحسب ١صموئيل ٢٣ كان يَعْلَمُ مُسَبِّقًا حدثين لم يقعا قط. وبالتالي، لا يعني علم الله المسبق بوقوع تَمَرْدِ إِلَهِيٍّ وإخفاقِ بشريٍّ أنه هو من جعل هذه الأحداث تحدث. فإن العلم المسبق لا يستلزم التعيين المسبق.

يلزَمُ أن نرى أحداث السقوط في ضَوْءِ هذا. عَلِمَ الله أن آدم وحواء سيُخْفَقَان. هو لم يُفَاجَأ؛ فهو يعلم كل شيء، تلك الأشياء الواقعية وتلك المحتملة. لكن حقيقة أن الله قادر على أن يَعْلَمَ مسبقًا بدخول الشر والتمرد إلى عالمه، من البشر، ومن المتمردين الإلهيين الذين أَغْوَاوا البشر على التمرد، لا يعني أنه تسبب في هذا.

يمكننا، وينبغي علينا، أن نرى الشر الذي نعاني منه في حياتنا، وفي أزمئتنا بالطريقة نفسها. لقد رأى الله مسبقًا السقوط، وكان متأهبًا بِمُحْطَةِ لتصحيحه. كما

أنه علم أيضًا أننا سنولد خطاة، وأنا سُخْفَق (كثيرًا -لنكن أمناء!) لكنه لم يعين مسبقًا تلك الإخفاقات. حين نخطئ، يلزمنا أن ننسب خطايانا لأنفسنا. فإننا نخطئ لأننا نختار أن نخطئ. لا يمكننا أن نقول إن الله شاء هذا، أو إننا لم نكن نملك خيارًا لأن هذا كان معيّنًا مسبقًا.

لكن الله أحبنا ﴿لَأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا﴾ (رومية ٥: ٦-٨). فهو أحبنا على الرغم من علمه بما سنفعله. وهو لم يهبنا الحرية لنخطئ فحسب، بل وهبنا أيضًا الحرية كي نؤمن بالإنجيل، ونعيش ليسوع.

يَعْلَمُ اللهُ أيضًا -ونعلم نحن، بحكم التجربة- أن أمورًا سيئة تقع للبشر، بل وللمؤمنين أيضًا. فإن الشر موجود في العالم لأن البشر (والكائنات الإلهية) يملكون حرية فعل الشر. ليس إلهنا إلهًا ملتويًا يعين مسبقًا وقوع أمور بشعة، أو يريد أن تقع جرائم وخطايا مروعة كي تتحقق خطة ما أعظم بشكل جيد. الله لا يحتاج إلى الشر، هذا أمرٌ مُنتَهٍ. فإن خُطْطه ستمضي قُدْمًا بالرغم من هذا الشر -منتصرة عليه، وستدينه في النهاية.

ربما نسأل إذن لماذا لا يبيد الله الشر الآن؟ يوجد سبب لهذا: كي يبيد الله الشر، يلزمه أن يبيد من يحملون صورته، بشرًا وكائناتٍ إلهيةً على حد سواء، الذين ليسوا كاملين كما هو كامل. هذا من شأنه أن يحل مشكلة الشر، لكنه سيعني أن فكرة الله الأصلية، أن يخلُق كائنات إلهية وكيلة له، وكائنات بشرية، لتعيش معه وتحكم معه، كان خطأً جسيمًا. والله لا يرتكب أخطاء.

ربما أيضًا نتمنى لو أن الله لم يهب البشر حرية إرادة من الأساس. لكن ماذا كنا لنصير حينئذ؟ إن الله باختياره أن يهبنا الحرية، اختار أيضًا ألا يجعلنا

عبيدًا دون فكر، أو آليين. هذا هو بديل امتلاك حرية إرادة. لكن بما أن الحرية هي صفة نشترك فيها مع الله، فإننا بدونها لم يكن بإمكاننا فعليًا أن نكون مخلوقين على صورة الله. ليس الله آليًا. وهو خلقنا كشبهه. لم يكن هذا أيضًا خطأً من جانبه. فقد أحبَّ الله فكرة البشرية كثيرًا حتى أنه لم يتخذ قرارًا بديلاً. ولذا، فقد ابتدع وسيلة حتى -بعد دخول الشر إلى العالم- يفندي البشرية، ويجدد جنة عدن، ويمسح كل دمعة من العيون (رؤيا يوحنا ٧: ١٧؛ ٢١: ٤).

سيستمر فيما يلي تأملنا في الحرب الطويلة الأمد ضد الله. لدى الله خطة حربية استراتيجية. إلا أن الموقف سيزداد سوءًا قبل أن يخطو الله خطوته الأولى.

الفصل الخامس

الجغرافيا الكونية

يشترك التَّعَدِّيَّانِ الإلهيَّانِ اللذانِ تناولناهما في الفصل السابق في شيء ما. فقد كان كِلا التَّعَدِّيَّيْنِ تمردًا من كائنات فائقة للطبيعة يستهدف الإطاحة بِجُحُطَةِ الله للبشرية، وإعادة حُكمه إلى وضعه السابق. وفي هذا الفصل سنتناول تمردًا آخر، لكنه صدر هذه المرة عن البشر.

تَسَبَّبَ هذا التمرد في مَازِقٍ لا زلنا جميعنا جزءًا منه حتى الآن، ويشمل ذلك المَازِقِ كائنات فائقة للطبيعة. صار هناك صراع هائل من أجل تحقيق استراتيجية استعادة الله لحُكمه؛ واتخذ هذا الصراع مَنَحِيَّ نحو الأسوأ، لن يكون له حل نهائي وحاسم سوى بمجيء يسوع ثانية.

برج بابل

تُعدُّ قصة برج بابل (تكوين ١١: ١-٩) واحدةً من أشهر القصص، وفي الوقت ذاته من أكثرها غموضًا في الكتاب المقدس. يتعلم الأطفال هذه القصة في مدرسة الأحد، بوصفها ذلك الوقت الذي فيه بلبل الله الألسنة الأرضية للبشر.

بعد الطوفان، أعاد الله للبشر الوصية التي كان قد أعطها لآدم وحواء، بأن يملأ الأرض. كان الله يحاول تشغيل عملية توسيع تأثير مُلكه من خلال البشر

من جديد. ومرة ثانية، لم ينجح الأمر. فقد رفض البشر هذا؛ لأن التمرد متأصل في قلوبهم، لقد كان لديهم فكرة أفضل، أو هكذا ظنوا. فقد قرروا أن يبنوا بُرجًا، قائلين: «لَيْتًا تَبَدَّدَ عَلَيَّ وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ» (تكوين ١١: ٤). يبدو هذا المنطق غريبًا. بالطبع، كان بناء برج رائع ومثير للإعجاب أن يجعلهم ذائعي الصيت (تكوين ١١: ٤)، لكن كيف كان لذلك أن يمنع تبدهم على وجه كل الأرض؟

تَكُنُ الإجابة في البرج نفسه. يَعْلَمُ علماء الكتاب المقدس وعلماء الآثار أن بابل القديمة والمدن المحيطة بها كانت تبني أبراجًا مُدرَّجَةً هرمية الشكل تُدعى أبراج المعابد أو الزقورات [ziggurats]. كان الغرض من هذه الأبراج هو إتاحة أماكن حيث يمكن للبشر الالتقاء بالآلهة. كانت الأبراج جزءًا من منطقة المعبد. وهكذا بدلًا من أن يجعلوا العالم كله كجنة عدن -أي ينشروا معرفة الله وحُكْمَه في كل مكان- أراد البشر أن يأتوا بالله من السماء إلى مكان واحد.

لم تكن هذه خُطة الله، ولذا لم يُسَرَّ بهذا. ومن هنا جاء تصريحه -مخاطبًا مرة ثانية أعضاء مجعته- «هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلِّغْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ» (تكوين ١١: ٧). وهكذا فعل الله، فتفرَّق البشر وتبددوا. وتفسر هذه الحادثة نشأة الأمم الوارد ذكرها في الأصحاح السابق لهذا، في تكوين ١٠.

تلك هي القصة التي يعرفها غالبية المسيحيين. والآن حان وقت سرد القصة التي لا يعرفونها.

الآلهة وأممهم

لم يكن تكوين ١١ هو النص الوحيد الذي وصف ما حدث عند برج بابل. بل يصفه تثنية ٣٢: ٨-٩ كالتالي:

﴿حِينَ قَسَمَ الْعَلِيُّ لِلْأُمَمِ، حِينَ فَرَّقَ بَنِي آدَمَ، نَصَبَ نُحُومًا لِشُعُوبٍ حَسَبَ عَدَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ [في الترجمة الإنجليزية: "حسب عدد أبناء الله"]. إِنَّ قِسْمَ الرَّبِّ هُوَ شَعْبُهُ. يَعْقُوبُ حَبْلٌ نَصِيْبِهِ.﴾

تحوي بعض ترجمات الكتاب المقدس عبارة "بني إسرائيل" بدلاً من "أبناء الله" في الجملة الأولى من هذا النص. إلا أن إسرائيل لم تكن موجودة بعد في زمن برج بابل. بل لم يدعُ الله إبراهيم إلا بعد بابل (تكوين ١٢). ولذا، لا يمكن أن تكون عبارة "بني إسرائيل" صحيحة. لكن "أبناء الله"، في المقابل، هي الكلمات التي وردت في مخطوطات البحر الميت، المخطوطات الأقدم للكتاب المقدس. ولذا فقد أصابت ترجمة ESV الإنجليزية بترجمتها "أبناء الله".

ثمّة أهمية لهذه الكلمات. فحين قَسَمَ اللهُ الأُمَمَ، قسمها ووزعها على أبناء الله. فقد عَيَّنَ اللهُ الأُمَمَ لأعضاء مجمه الإلهي. هذا هو التفسير الذي يقدمه الكتاب المقدس لعبادة أممٍ أخرى فيما بعد آلهةً أخرى. فحتى برج بابل، كان الله يرغب في علاقة تجمعهم مع كل البشر. إلا أن التمرد الذي حدث في بابل قد غيّر من سير الأحداث. وبالتالي، قرر الله أن يسمح لأعضاء من مجمه الإلهي بحكم الأُمَمِ الأخرى.

أدان الله البشر. فحتى بعد الطوفان، لم يرغبوا في استكمال حُطّة المملوكوت التي كان الله قد بدأها في جنة عدن. ولذا قرر الله أن يخلق أمة جديدة، ﴿قِسْمَهُ﴾

بحسب تثنية ٣٢: ٩ - إسرائيل. وقد فعل هذا، بدءًا بدعوة إبراهيم، في تكوين ١٢،
الأصحاح الذي يلي قصة برج بابل مباشرة.

يشكل تعيين أو توزيع الله للأمم على آلهة أخرى إطارًا لكل العهد القديم.
كيف؟ لأن بقية العهد القديم يدور حول إله إسرائيل وشعبه، بني إسرائيل، في
صراع مع آلهة الأمم الأخرى، وشعوبها.

لم يكن هذا هو قصد الله الأصلي. نعم، كان ما فعله في بابل للأمم دينونة،
لكن لم يكن الله ينتوي قَطُّ أن تظلَّ الأمم متروكة إلى الأبد. فحين قطع الله
عهده مع إبراهيم، أوضح هذا جليًّا: «تَبَارَكَ... جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ» في إبراهيم
ونسله (تكوين ١٢: ٣). كان الله يخطط لرد الأمم إلى عائلته في وقت ما.

كان بولس على دراية بكل هذا. ففي عظته التي ألقاها على الفلاسفة
الوثنيين في أثينا، قال:

«وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ،
وَحَتَمَ بِالْأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودٍ مَسْكَنِهِمْ،
لِكَيْ يَطْلُبُوا اللَّهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ،
مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا»
(أعمال ١٧: ٢٦-٢٧)

ومن خلال موسى، حذَّر الله شعبه من عبادة ﴿جُنْدِ السَّمَاءِ﴾ (تثنية ٤:
١٩-٢٠)، وهو لقب ورد في مواضع أخرى ويعبَّر عن أعضاء المجمع الإلهي (١ملوك

٢٢: ١٩). ويوضح أعمال ١٧: ٢٦-٢٧ جليًا أن قصد الله كان أن تظل الأمم تطلبه بشكل ما.

إِلَّا أَنَّ الْآلِهَةَ الَّذِينَ أَقِيمُوا عَلَى الْأُمَمِ تَدَخَّلُوا فِي هَذِهِ الْخُطَّةِ بِطَرِيقَتَيْنِ.

رأينا فيما سبق في مزمو ٨٢: ١ أن الله اجتمع بألهة المجمع. ويخبرنا باقي المزمور بالسبب. فقد حَكَمَ آلهةُ الأمم تلك الأمم حكمًا ظالمًا، بطرائق كانت مناقضة لرغبات الله ومبادئ عدالته. ووجه الله لهم الاتهام بمجرد بدء الاجتماع: «حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْرًا وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الْأَشْرَارِ؟» (مزمو ٨٢: ٢). وبعد أن ويَجْهَمُ الرب بقوة لعددين آخرين على جَوْرِهِمْ (ظلمهم)، وَصَفَ إِخْفَاقَ الْآلِهَةِ فِي مَسَاعِدَةِ الْأُمَمِ السَّالِكَةِ فِي الظلمة على معرفة طريق الرجوع إلى الإله الحقيقي: «[أولئك الظالمون] لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ. فِي الظُّلْمَةِ يَتَمَشَّوْنَ. تَتَزَعَّرُ كُلُّ أَسْوَاسِ الْأَرْضِ.» (مزمو ٨٢: ٥).

وللأسف، انتهى الأمر ببني إسرائيل يعبدون آلهة ﴿لَا قَسَمْتُ لَهُمْ﴾ (تثنية ٢٩: ٢٦؛ انظر أيضًا ٣٢: ١٧) بدلًا من أن يطلبوا الإله الحقيقي. كان رد فعل الله سريعًا وقاسيًا (مزمو ٨٢: ٦-٧): «أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَالِي كُلكُمْ. لَكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرُّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ.» (مزمو ٨٢: ٦-٧).

كان من المنتظر أن يفقد الآلهة خلودهم (مزمو ٨٢: ٧)، ويموتوا مثل الناس. ونعلم من نصوص أخرى أن هذه الديونة متصلة بالأزمنة الأخيرة (إشعيا ٣٤: ١-٤). وفي ختام مزمو ٨٢، يرجو الكاتب مجيء ذلك اليوم الذي فيه سيرد الله الأمم ثانية وبشكل نهائي باعتبارهم ميراثه. وكما سترى لاحقًا، سيتحقق رجاء الكاتب في العهد الجديد.

الرؤية الكونية لتثنية ٣٢

بسبب الرؤية الكونية لتثنية ٣٢، تُعدُّ جغرافيا الكتاب المقدس كونية. فإن الأرض إما مقدسة، أي مُكرّسة ليهوه، أو هي نطاق سلطة إله آخر. تعكس العديد من المواضع في الكتاب المقدس هذه الرؤية الكونية. على سبيل المثال، يشير سفر دانيال في العهد القديم إلى أمم أجنبية يحكمها "رؤساء" (دانيال ١٠: ١٣، ٢٠-٢١). وإليك مثال آخر: حين كان داود يهرب من شاول الملك، أُجبر على الخروج من إسرائيل إلى أرض فلسطينية. وفي اصموييل ١٦: ١٩، صرّخ داود: «لَأَتَّهَمُ قَدْ طَرَدُونِي الْيَوْمَ مِنَ الْإِنْضَمَامِ إِلَى نَصِيبِ الرَّبِّ قَائِلِينَ: اذْهَبِ اعْبُدْ آلِهَةَ أُخْرَى». لم يكن داود يقصد بذلك أنه سيغير عبادته من إله لآخر، كما أنه لم يكن ينكر أن الله موجودٌ في كل مكان. لكن إسرائيل كانت أرضًا مقدسة، إذ كانت هي الموضع الذي ينتمي إلى الإله الحقيقي. وبالتالي، كان داود عالقًا في نطاق سلطة إله آخر.

قصتي المفضّلة في العهد القديم، التي توضح هذه الفكرة، موجودة في ٢ملوك ٥. كان نُعمان قائدًا في جيش أُشور. وكان أبرصًا. وبعد أن اتّبع تعليمات أليشع بالاعتسال سبع مرات في نهر الأردن، سُفّي معجزيًا من البرص. فقال نُعمان لأليشع: «هُودًا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَهٌ فِي كُلِّ الْأَرْضِ إِلَّا فِي إِسْرَائِيلَ.» (٥: ١٥). وبعد أن رفض النبي أن يأخذ أجره، طلب نُعمان منه أن يأخذ معه جِملَ بَعْلَيْنِ مِنَ التُّرَابِ إِلَى أَرْضِهِ. ولماذا يطلب ترابًا؟ لأن تلك الأرض كانت تنتمي إلى إله إسرائيل. كانت أرضًا مقدسة.

ليس مصادفة أن نرى طريقة التفكير ذاتها في العهد الجديد. يستخدم بولس مجموعة من الألفاظ للتعبير عن كائنات إلهية معادية (أفسس ١: ٢٠-٢١؛ ٣: ١٠؛ ٦: ١٢؛ كولوسي ١: ١٦؛ ٢: ١٥)، مثل: رياسات، وسلطين، وقوات، وعروش. ما الشيء المشترك بينها؟ جميعها مصطلحات معروفة جيدًا تُستخدم لوصف منطقة النفوذ الجغرافية أو النطاق الجغرافي لسلطة الحاكم.

كتب الرسول بولس رسالتين إلى كنيسة كورنثوس، لمعالجة بعض الأوضاع التي كان قد سمع بها. وفي الرسالة الأولى، أوصى قادة الكنيسة بعزل رجل كان يعيش في خطية جنسية دون توبة (١ كورنثوس ٥: ١-١٣). ومن الغريب أنه أوصاهم أن «يُسَلَّمْ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ» (١ كورنثوس ٥: ٥). هل من معنى منطقي لهذه الكلمات؟

ثمة معنى منطقي لتصريح بولس فقط في ضوء خلفية الرؤية الكونية الجغرافية للعهد القديم. ففي لاهوت العهد القديم، كان "قسَم" يهوه هو إسرائيل، والأرض التي أعطاها لبني إسرائيل، أرض كنعان. فقد قدس حضوره الأرض -أي جعلها مقدسة. وفي البداية، كان حضور يهوه مقيمًا في خيمة الاجتماع. فحين كان بنو إسرائيل يستقرون في مكان ما، ويقيمون مُحَيَّمهم، كان تابوت العهد يوضع في المركز، مميِّزًا محلة (مُحَيَّم) إسرائيل باعتبارها أرضًا مقدسة. ولاحقًا، بعد أن أقام إسرائيل إقامة دائمة في كنعان، كان حضور يهوه في الهيكل، مقدسًا بهذا أرض الموعد بصفتها أرضًا مقدسة -فقد استقر الآن يهوه وشعبه في بيتهم. والآن، يسكن حضور يهوه في المؤمنين؛ فإننا هيكل الله (١ كورنثوس ٦: ١٩؛ ٢ كورنثوس ٦: ١٦؛ رومية ٨: ٩). هذا يعني أن المؤمنين، جسد المسيح، هم شعب الله الجديد، إسرائيل جديدة. يوضح بولس هذا في غلاطية ٣..

«اعلموا إذا أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم

لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.

لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح:

ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبداً ولا حرّاً. ليس ذكراً وأنثى،

لأنكم جميعاً واحداً في المسيح يسوع.

فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذا نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة.»

(غلاطية ٣: ٧، ٢٦-٢٩)

بما أن المؤمنين -والأماكن التي يجتمع فيها المؤمنون- أرض مقدسة، فإن الخطية لا بد أن تطرح خارجاً. وكما كانت الأرض حول محلة إسرائيل، والأمم المحيطة بها الواقعة تحت سيادة آلهة أخرى تُعرف بأنها أرض نجسة، هكذا أيضاً في أزمنة العهد الجديد -والآن- كان العالم أرضاً نجسة غير مقدسة. ومن هنا جاءت وصية بولس بطرد المؤمن غير التائب وإرجاعه إلى العالم، نطاق سلطة إبليس. فأن يُطرد أحدهم من الكنيسة يعني أن يوضع ثانية في أرض غير مقدسة، حيث تنتمي الخطية.

لماذا يشكل هذا أهمية؟

تُعتبر الجغرافيا الكونية التي هي نتيجة دينونة الله للأمم في بابل، هي خلفية صراع إسرائيل. كما أنها أيضاً تُعدُّ المشهد للإنجيل. فإن بشارة عمل يسوع على الصليب هي أن شعب الله لم يعد يتألف من اليهود فقط، بل من كل من

يؤمن ببسوع (غلاطيّة ٣). وحين يخرج التلاميذ إلى العالم، يتحول نطاق سلطة إبليس إلى أرض الله. وهكذا يتقدم ملكوت الله، مستعيدًا سيطرته على الأمم.

والدرس المُستفاد هنا هو أن هذا العالم ليس موطننا. فقد تغلغلت الظلمة في الكون. ويُعتبر غير المؤمنين في الأساس رهائنَ مُحْتَجِزِينَ لدى قوات روحية. ولذا، هم في حاجة إلى الإنجيل كي يُعْتَقُوا. ولا تنسوا هذا: إن سلاحنا هو الإنجيل. نحن لسنا مفوّضين لمجابهة الرياضات والسلاطين بصورة مباشرة. فالرسل لم يمنحونا موهبة روحية لهذا الغرض. إلا أن نَشَرَ رسالةَ الإنجيل بأمانة سَيَقْلِبُ دَقَّةَ الأمور. إن الإرسالية العظمى هي خُطّة معركة روحية. وسنتعرف على المزيد من ذلك في الفصول القادمة.

وها هنا درسٌ آخر: يجب أن نعتبر كل جماعة من مؤمنين حقيقيين أرضًا مقدسة. فالله لا يكثرث للمظاهر الخارجية، والبنائيات، وحجم الرعيّة. لكن هذا ما يهم: حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة، فهناك يكون يسوع في وسطهم (متى ١٨: ٢٠). المكان مقدس. كل جماعة مؤمنين، مهما كانت صغيرة الحجم أو مجهولة، تقف في الصفوف الأمامية في حرب روحية. وكل كنيسة مُكَلَّفَةٌ بالمهمة ذاتها. وبهذا لن تسود قوات الظلمة.

سوف نتطرق ثانية إلى فكرة الجغرافيا الكونية، حين نصل إلى خدمة يسوع. لكن يكفي في الوقت الراهن أن نقول إن خطوط المعركة قد رُسمت، والمعركة على وشك أن تبدأ. فقد أُدينت أمم العالم، وجرّدها الله من ميراثها. وحين الوقت كي يبدأ من جديد، ويقوم بتشكيل قِسْمِهِ الخاصّ وشعبه الخاصّ.

الفصل السادس

الكلمة، والاسم، والملاك

تعرفنا في الفصل السابق على الجغرافيا الكونية للكتاب المقدس. نَبَدَ اللهُ الأممَ رَدًّا على تمرد البشر في برج بابل؛ وعَيَّنَ عليها أعضاءً من مجمه السماوي، أي أبناء الله (تثنية ٣٢: ٨-٩). وكي يستبدلَ اللهُ الأممَ التي صارت الآن منبوذة، كان لا بد أن يَخْلُقَ شعبًا جديدًا، أمةً تكون خاصته. وقرر اللهُ لهذا الشعب أن يكون وكيلاً له لإحياء ملكوته على الأرض. لكن سيتبيَّن لاحقًا أن تلك المهمة كانت تقتضي صراعًا مريعًا، إذ أن الآلهة الأخرى والشعوب الخاضعة لنطاق حكمهم سيصبحون أعداءً شرسين لإسرائيل ولله.

وقد بدأ شعبُ اللهُ الجديد بِرَجُلٍ يُدعى أبرام، الذي غيَّر اللهُ اسمَه لاحقًا إلى إبراهيم. وبعد وقت قصير من الدينونة في بابل، قام اللهُ بزيارة هذا الرجل.

إبراهيم يتقابل مع الكلمة

إن غالبية المؤمنين على دراية جيدة بزيارة اللهُ لإبراهيم، الواردة في تكوين ١٢. فقد أوصى اللهُ إبراهيم بأن يترك أرضه، ويذهب إلى مكان لم يره من قبل. ثم وعده بأن يرشده. وأخبره بأنه سيكون إلهه، كما أعطاه وعودًا ترتبط بعهد خاص بينهما. أيضًا سيمكَّن إبراهيم وسارة من إنجاب ابنٍ، مع أنهما كليهما كانا مُسنَّين.

ومن ذلك فالابن سيخلف شعبًا غفيرًا، شعبًا سيمثل عائلة الله الأرضية الجديدة. وبهم تتبارك الأمم.

لدينا مِيلٌ إلى الاعتقاد بأن مقابلات إبراهيم مع الله كانت في هيئة صوتٍ من السماء أو صوتٍ في عقل إبراهيم. أو ربما جاءه الله في حلم. غَيْرَ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ كَانَ وَاضِحًا إِذْ بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَوَاصَلَ بِمِثْلِ هَذِهِ الطَّرَائِقِ مَعَ أَنْبِيَاءَ وَمَعَ آخَرِينَ، لَكِنْ هَذَا يَخْتَلِفُ عَمَّا حَدَثَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ. فَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ شَيْئًا أَكْثَرَ دِرَامَاتِيكِيَّةً، جَاءَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ كإِنْسَانٍ. وَتَكَلَّمَ مَعَهُ وَجْهًا لَوَجْهِهِ.

يعطينا تكوين ١٢: ٦-٧ لمحةً من هذا، إذ يقول الكتاب المقدس إن الله ظَهَرَ لِإِبْرَاهِيمَ. وبعد ثلاثة أصحاحات، ظهر الله ثانية (تكوين ١٥: ١-٦). وفي هذه المرة جاء الله إلى إبراهيم في صورة "كَلَامِ الرَّبِّ" في رؤيا. لم يكن هذا صوتًا في عقله، بما أن "الكلمة" أخرج إبراهيم إلى خارج، وأراه النجوم كي يوضح له أن نسله لن يُحصى (تكوين ١٥: ٥).

وظهر الله كإنسان لإبراهيم في مواقف أخرى (تكوين ١٨)، وفعل الشيء ذاته مع إسحاق (تكوين ٢٦: ١-٥)، ابن الموعد الذي وعد به الله، ومع يعقوب، ابن إسحاق (تكوين ٢٨: ١٠-٢٢؛ ٣١: ١١-١٢؛ ٣٢: ٢٤-٣٠).

وَرَدَّ ظُهُورُ "الْكَلِمَةِ" أَوْ صَوْتِ اللَّهِ كوسيلة للتعبير عن الله في هيئة بشرية في مواضع غير متوقَّعة. وأحد الأمثلة المفضلة عندي هي في صموئيل ٣. ظل الصبي صموئيل يسمع صوتًا يدعوه في الليل فيما كان يحاول النوم. وفي النهاية، فَهَمَّ عَالِي، الكاهن الذي كان صموئيل يسكن معه ويعمل عنده، أنه الله. وفي العدد العاشر، جاء الله ثانية إلى صموئيل: ﴿فَجَاءَ الرَّبُّ وَوَقَفَ وَدَعَا كَالْمُرَاتِ الْأُولَى: «صَمُوئِيلُ،

صَمُوئِيلُ.﴾ نعلم أن هذا كان الله في هيئة بشرية لأن الوصف يفيد بأنه وَقَفَ، ولأن نهاية الأصحاح (١صموئيل ٣: ١٩) تقول إن "كلمة الرب" جعل من ظهوره لصموئيل أمرًا معتادًا.

كان إرميا نبيًا آخر جاءه "كلمة الرب" في هيئة بشرية مادّية. ففي إرميا ١، حيث دُعي إرميا ليكون نبيًا، يقول إرميا إن "الكلمة" جاءتة. وقد عرّف إرميا "الكلمة" بكونها الرب نفسه. فقد لمس الرب فمه بيده (إرميا ١: ٩-١).

الله في هيئة بشرية

يُعدُّ ظهور الله في هيئة إنسان، في حقيقة الأمر، نمطًا في العهد القديم، قبل فترة طويلة من مجيئه كيسوع الناصري. حين تُفكرُ في الأمر، يبدو منطقيًا. فإن الله مختلف عنّا تمامًا. ويُلمح الكتاب المقدس إلى أنه لا يمكن لإنسان أن يرى جوهر الله الحقيقي، وحضور مجد الله الخالص، ويعيش. وحين تقابلت بعض شخصيات الكتاب المقدس بشكل مادّي مع الله توقعوا أن يموتوا (تكوين ٣٢: ٣٠؛ تثنية ٥: ٢٤؛ قضاة ٦: ٢٢-٢٤). لكنهم لم يموتوا، لأن الله قد وضع مُرْسَحًا (فلترًا) لحضوره يمكن من خلاله للعقل البشري إدراكه: نار، سحابة، وفي أحيانٍ أكثر مما يُدرّكه الكثير من المؤمنين، في هيئة إنسان.

يوصفُ ظهورُ الله في هيئة إنسان، في العديد من المواقف، بأنه مقابلة مع "ملاك الرب". ويعتبر هذا الملاك شخصية مألوفة. على سبيل المثال، يظهر هذا الملاك لموسى في العليقة المشتعلة (خروج ٣: ١-٣)، والله الظاهر في العليقة وَعَدَ بأن يستخدم موسى لإخراج شعبه من أرض مصر. كما ظهر الله ليعقوب في صورة

منظورة في حلم في بيت إيل (تكوين ٢٨: ١٠-٢٢)، حيث عُرِّف بكونه الرب (يهوه). ثم جاء ملاك الله لاحقًا إلى يعقوب في حلم آخر، وأخبره على نحو صريح أنه هو الإله ذاته الذي لاقاه قبلاً في بيت إيل (تكوين ٣١: ١١-١٢).

يتردد الكثير من معلمي الكتاب المقدس في أن يُعرِّفوا هذا الملاك بأنه هو الله نفسه. لكن توجد عدة مؤشرات متينة إلى أنه كذلك. ولعل أهمها ما جاء بعد فترة وجيزة من إعطاء الله الناموس لموسى. ففي أثناء استعداد بني إسرائيل للسفر في اتجاه أرض كنعان، قال الله لموسى:

«هَا أَنَا مُرْسِلٌ مَلَكَاً أَمَامَ وَجْهِكَ لِيَحْفَظَكَ فِي الطَّرِيقِ، وَلِيَجِيءَ بِكَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَعَدَدْتُهُ. احْتَرِزْ مِنْهُ وَاسْمَعْ لَصَوْتِهِ وَلَا تَتَمَرَّدْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، لِأَنَّ اسْمِي فِيهِ. وَلَكِنْ إِنْ سَمِعْتَ لَصَوْتِهِ وَفَعَلْتَ كُلَّ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، أَعَادِي أَعْدَاءَكَ، وَأَصَائِقُ مُضَائِقِيكَ.» (خروج ٢٣: ٢٠-٢٢)

ليس هذا ملاكاً عادياً. إن هذا الملاك يستطيع أن يصفح عن الذنوب (أو لا يصفح). وكان اسم الله في هذا الملاك. ذلك التعبير غريب وغير معتاد لكنه مهم. كان "الاسم" وسيلة استخدمها العهد القديم للإشارة إلى الله نفسه، أي إلى حضور الله ذاته، أو جوهره. على سبيل المثال، تصف كلمات إشعياء ٣٠: ٢٧-٢٨ اسم الرب باعتباره شخصاً - أي باعتباره الله نفسه:

﴿هُوَ ذَا اسْمِ الرَّبِّ يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ

عَضْبُهُ مُشْتَعِلٌ وَالْحَرِيقُ عَظِيمٌ

شَفَتَاهُ مُمْتَلِئَتَانِ سَخَطًا،

وَلِسَانُهُ كَنَارٍ آكِلَةٍ

وَنَفْخَتُهُ كَنَهْرٍ غَامِرٍ يَبْلُغُ إِلَى الرَّقَبَةِ. ﴿﴾

بل حتى في الوقت الحاضر، يُشِيرُ اليهودُ المحافظون إلى الله بكلمة "ها-

شيم" ("الاسم").

ومن الطرائق الأخرى، التي نَعْرِفُ بها أن هذا الملاك كان هو الله في هيئة إنسان هي مقارنة خروج ٢٣: ٢٠-٢٢ بمقاطع كتابية أخرى. إن الملاك الذي تقابل مع موسى في العليقة المشتعلة، ذلك الملاك الذي فيه اسم الله، هو من أخرج بالفعل بني إسرائيل من أرض مصر وأدخلهم أرض الموعد (قضاة ٢: ١-٣). لكن هكذا أيضًا فعل الرب (يشوع ٢٤: ١٧-١٨)، وحضور الله (تثنية ٤: ٣٧-٣٨). فإن الرب، والحضور، وملاك الرب ليست سوى طرائق مختلفة مستخدمة للإشارة إلى الشخصية نفسها: الله. لكن الملاك هو الذي في هيئة إنسان.

أحد نصوص الكتاب المقدس الذي يوضح هذه الفكرة على نحو أكثر إقناعًا، هو أيضًا نص شديد الغموض. وقليلون هم من انتبهوا إليه في أيّما وقت مضى. وهو مشهد ليعقوب وهو على فراش الموت. فُقْبِيلُ موت يعقوب، أراد أن يبارك ابني يوسف. وفي أثناء هذه المباركة، يسترجع يعقوب مقاطع من حياته -وبعضًا من مقابلاته مع الله. وقد بدأ بركته على هذا النحو (تكوين ٤٨: ١٥-١٦):

«اللَّهُ الَّذِي سَارَ أَمَامَهُ أَبَوَايَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ،

اللَّهُ الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هَذَا الْيَوْمِ،

المَلَاكُ الَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ...»

ثم، وبشكل عجيب لا يصدّق، يصلي يعقوب في عدد ١٦ ويقول: «يُبَارِكُ [هو] العُلامِينِ». ولم يقل: «بياركان [هما] الغلامين»، وكأنه يتحدث عن شخصين مختلفين، الله والملاك. لكنه يدجمهما معاً في الصلاة: «يُبَارِكُ (هو) العُلامِينِ». بل إنَّ أكثر النصوص التي تُذهل العقل هو قضاة ٦، الذي يحكي دعوة جدعون. في هذا النص، نجد الرب وملاك الرب كليهما في المشهد نفسه (قضاة ٦: ٢٢-٢٣). حتى في العهد القديم، كان الله أكثر من أقنوم واحد، وواحد من هذه الأقانيم جاء كإنسان.

يسوعُ: الكلمةُ، والاسمُ، والملاكُ

يُفترَضُ أن تبدو أوصاف الله التي تناولناها حتى الآن مألوفة؛ وهي كلها صيغٌ من العهد القديم لكيفية تَحَدُّثِ العهد الجديد عن يسوع.

تقابل إبراهيم مع الكلمة، مع الله في صورة إنسان. وفي يوحنا ١: ١، كتب الرسول: ﴿فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ.﴾ وفي العدد الرابع عشر من الأصحاح نفسه، يقول يوحنا إن هذا الكلمة ﴿صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا.﴾ وحين يقرأ رجل يهودي من القرن الأول إنجيل يوحنا، فإن عقله يرجع به في الحال إلى الله ذاته، الآتي بوصفه الكلمة. والواقع أن يسوع نفسه صرّح بأن إبراهيم قد «رأى يومه»، وأنه كائنٌ قبل أن يكون إبراهيم (يوحنا ٨: ٥٦-٥٨).

التقى موسى بملاك الرب، أي الله في صورة إنسان، في العليقة المشتعلة، وفيما بعد ذلك. وأخرج هذا الملاك شعب إسرائيل من مصر وأدخلهم إلى أرض الموعد. لكن يهوذا كتب في رسالته القصيرة: ﴿فَأُرِيدُ أَنْ أَدَّكَرُكُمْ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ هَذَا مَرَّةً، أَنَّ الرَّبَّ [الترجمة الإنجليزية: يسوع] بَعْدَمَا خَلَّصَ الشَّعْبَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، أَهْلَكَ أَيْضًا الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا.﴾ (يهوذا ١: ٥). كان الملاك هو الله في صورة إنسان. كان الملاك هو الأقوم الثاني من الثالث، الذي كان سوف يولد لاحقًا من العذراء مريم.

ميّز حضورُ الله، أي الاسم، هذا الملاك عن جميع الآخرين. ففي بعض الأحيان، في العهد الجديد، تحدث يسوع عن الله الآب بوصفه الاسم. ففي صلواته في بستان جثسيماني، قبل أن يلقوا القبض عليه مباشرة كي يخضع للمحاكمة التي سبقت صلبه، صلي قائلاً: «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ... وَعَرَّفْتُهُمْ اسْمَكَ» (يوحنا ١٧: ٥-٦، ٢٦). ما الذي كان يقصده يسوع بذلك التصريح الأخير؟ لم يكن يقصد أنه عرف الناس ما هو اسم الله، فقد كانوا يهودًا، وكانوا يعرفون ما هو اسم الله، اسمه يهوه. فقد كان العهد القديم لديهم، وكان بإمكانهم البحث عن اسم الله في آلاف الآيات. حين قال يسوع إنه أظهر اسم الله للناس، كان يقصد أنه أظهر الله ذاته للناس. كان هو الله أمام أعينهم. كان هو الاسم الذي صار جسدًا.

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

وصلنا الآن إلى مرحلة مناسبة من دراستنا تمكنا من استيعاب الملامح الكتابية العامة للموضوع محل الدراسة. إن جميع قصص الكتاب المقدس التي نَعْرِفُهَا تقع داخل إطار الصراع الروحي الشامل في العالم غير المنظور. هذا الصراع هو معركة بين الآلهة يحصل الفائز فيها على كل شيء.

وبحسب الرأي الكتابي عن العالم غير المنظور، يواجه الله أعداء خطرين، هم آلهة أخرى خَلَقَهُمْ وكانوا يوماً يدينون له بالولاء، لكنهم انحرفوا عنه وارتدوا. هؤلاء الآلهة المتمردون هم الذين وصفهم بولس بأنهم رُؤَسَاءِ الظلمة، والسَّلَاطِينِ، وُؤَلَاةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةٍ هَذَا الدَّهْرِ، وعروش العالم الذي لا يُرى (أفسس ٦: ١١؛ كولوَسِّي ١: ١٦). وهم لا يزالون هنا. لا شيء في العهد الجديد يخبرنا بأنهم رحلوا. فهم يَجِبُونَ لكي يقاوموا حُكْمَ اللَّهِ، ولكي يحاولوا أن يجرموه من لَمَّ الشَّمْلِ الأَبَدِيِّ مع عائلته البشرية المحبوبة من خلال الإنجيل.

أحد وُؤَلَاةِ الظلمة هؤلاء هو سيد الأموات. وهو يملك حَقًّا شرعيًّا على البشر، إذ نتج عن خداعه وغوايته لآدم وحواء فقدان الخلود. وكان هذا هو الهدف الذي سعى إليه -إبادة شعب يهوه. وكان هذا هو ما ظل يدور ببال ذرية أبناء الله الأعداء حين دخل بنو إسرائيل أرض كنعان: إما أن تَقْتَلُوا أو تُقْتَلُوا في سبيل منع شعب الله من امتلاك الأرض. ومنذ دخول بني إسرائيل الأرض، ظل هدف ولاة الظلمة كما هو، لكن تغيرت استراتيجيتهم: «إغواء شعب الله لعبادة آلهة أخرى، حينئذ سيتولى يهوه أمر التخلص منهم منهم نيابة عنا.» وهذا ما حدث. فقد أرسل الله شعبه إلى السبي.

لكن ولاة الظلمة كانوا يعلمون شيئاً آخر، ألا وهو أن الله لن يتخلى عن خطته أو يستسلم. لقد تنبأت اللعنة التي وقعت على المتمرّد الأول، أنه يوماً ما، سيأتي واحد من نسل حواء، ليُبطل نتائج وتأثيرات الإخفاق البشري الذي حدث في جنة عدن. وكانوا يعلمون أن ذلك الموعود به سيظهر في وقت ما - لكنهم، كما قال لنا بولس، لم يعلموا بالتحديد ما الذي كان الله يخطط له (١ كورنثوس ٢: ٦ - ٨؛ أفسس ٣: ١٠؛ ٦: ١٢). هذا لأن المخطط كان سرّاً، قَصَدَ اللهُ العلي أن يكتمه عن الجميع.

الفصل السابع

قواعدُ الاشتباكِ

إليك ما وصلنا إليه في قصتنا حتى الآن: نَبَدَ اللهُ الأُممَ وشعوبهم في بابل. وسادَ على هذه الأُممِ الآلهَةُ الأَدنى منه الذين عُيِّنَ لهم حكمها (تثنية ٣٢: ٨-٩). وحين بدأ اللهُ من جديد مع إبراهيم، كان واضحًا أنه خَطَطَ لاسترداد الأُممِ يومًا ما من خلال تأثير إسرائيل (تكوين ١٢: ٣). لكن لتحقيق هذا، سيتحتم إجبار آلهة الأُممِ على تسليم سلطتهم والسجود (مزمور ٨٢: ٦-٨). وهذا كان يعني صراعًا في كل من العالم المنظور والعالم غير المنظور. وهكذا، بمجرد ظهور إسرائيل كأمة، صارت في مرمى نيران الآلهة.

مَن هو يهوه؟

لَمْ يَمُضْ وقت طويل في القصة الكتابية قبل أن ينتهي الأمر بإسرائيل في وضع حرج غير مستقرٍّ. تُبين قصة يوسف (تكوين ٣٧-٥٠) سبب ذهاب شعب إسرائيل إلى مصر. فقد حولت عناية الله الأذى والشر الذي قصد إخوة يوسف أن يصنعوه به، إلى خلاص لإسرائيل من المجاعة (تكوين ٤٦: ٣-٤؛ ٥٠: ٢٠). وكان عدم إصدار الله أمرًا لإسرائيل بترك مصر في الحال، مُتَعَمِّدًا. فالله كان يعلم أن فرعون الذي أكرم يوسف سيموت يومًا ما، وسيحل محله عدوٌّ (خروج ١). وكان

الله يعلم مسبقًا أن مِصْرَ سَتُخْضَعُ بني إسرائيل للعمل بالسُّخْرَةِ (تكوين ١٥: ١٦-١٣). كما كان يعلم أنه كان عتيديًا أن يُخْلَصَ إسرائيل حين يحين الوقت المناسب (تكوين ٤٦: ٤).

لكن لماذا الانتظار؟ لدى الله دائمًا سبب وجيه للألم. المسألة هي فقط أننا ليس بإمكاننا دائمًا رؤية هذا السبب. ومع ذلك، في هذه الحالة، يوضح الكتاب المقدس السبب جيدًا:

بعد هروب موسى من مصر، وإقامته في البرية، دعاه الله من العليقة المشتعلة (خروج ٣: ١-١٤) كي يرسله مجددًا إلى مصر. وكانت تعليماته بسيطة: قل لفرعون: «أُطْلِقْ شَعْبِي» (خروج ٥: ١). لكن كان لفرعون رأي آخر. فقد كان فرعون في مصر هو الإله المتجسد، رمز كل مجدها وقوتها. لم يكن ليسمح لإله ما غير منظور، يعبده رعاة غنم من العبرانيين، أن يُمْلِي عليه أفعاله. بل لم يكن يعلم إن كان إله موسى حقيقيًا أم لا. ولذا، أجاب فرعون موسى باستهزاء: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟» (خروج ٥: ٢)

لكنه كان على وشك أن يتلقى جوابًا -جوابًا موجهًا. فقد كان الله هو الذي أقامه، وأخبر الله موسى قائلاً: «وَلَكِنِّي أُشَدِّدُ قَلْبَهُ حَتَّى لَا يُطْلِقَ الشَّعْبَ» (خروج ٤: ٢١). كان أمام الله معركة عليه أن يقرر خوضها. فبعد أن اضطهد المصريون بني إسرائيل وأقمعوهم لقرون، حان الوقت لأن تُعاقَبَ مصر وألهتها. وكانت تقسيه قلب فرعون جزءًا من تلك الخطة. يجبرنا الكتاب المقدس بأن الضربات استهدفت آلهة مصر -وخاصة الضربة الأخيرة، موت الأبقار (خروج ١٢: ١٢؛ عدد ٣٣: ٤)، التي تبيّن أنها هجوم مباشر على بيت فرعون: ﴿فَحَدَّثَ فِي نِصْفِ

اللَّيْلِ أَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بَكْرٍ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بَكْرٍ الْأَسِيرِ الَّذِي فِي السَّجْنِ، وَكُلَّ بَكْرٍ بَهِيمَةٍ. ﴿ (خروج ١٢: ٢٩).

لقد استهزأ فرعون بالله، فانقلبت الأحوال عليه على نحو عنيف. وكما قال بولس لاحقاً: ﴿لَا تَضَلُّوا! اللَّهُ لَا يُسْمَعُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا.﴾ (غلاطية ٦: ٧)، هكذا، تَمَّتِ الضربات المتكررة التي تلققتها مصر في سبيل إطلاق شعب إسرائيل من أرضها الغرض المرجو منها. وسمعت أخبار الهزيمة التي أنزلها إله إسرائيل بمصر وبأهلها في أماكن بعيدة حتى في أرض كنعان (يشوع ٢: ٨-١٠؛ قارن مع خروج ١٥: ١٦-١٨؛ يشوع ٩: ٩). لَحْصَ يثرون، هو موسى المدياني، هذا الدرس، حين رجع موسى أخيراً: «الآن عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الْأَلِهَةِ.» (خروج ١٨: ١١).

لا عجب إذن أن يطرح موسى، وهو على الجانب الآخر من البحر الأحمر، هذا السؤال البلاغي، مستهزئاً بفرعون وجيشه المفقود: «مَنْ مِثْلَكَ بَيْنَ الْأَلِهَةِ يَا رَبُّ؟» (خروج ١٥: ١١).

وبمجرد خروجهم من مصر، وعبورهم البحر الأحمر، علم بنو إسرائيل وجهتهم. كانوا خارجين لمقابلة إلههم في بيته ومقره الرئيسي الجديد، جبل سيناء. صِدْقًا، لم يعلم بنو إسرائيل القدر الكبير عن الله. لم يكن هناك كتاب مقدس على الإطلاق في زمن الخروج. وكانت المعرفة الوحيدة التي اكتسبها بنو إسرائيل عن الله هي من خلال القصص التي سمعوها من آبائهم، والتي تناقلتها الأجيال، جيلاً بعد جيل. نستطيع الآن، بقراءتنا للقصة في الكتاب المقدس، أن

نرى بوضوح ما كان الله ينتويه. لكن كان أمام بني إسرائيل الكثير ليتعلموه، وكانت سيناء هي حجرة الدراسة التي سيتعلمون فيها.

إسرائيل: عائلة الله ومملوه الأرضيون

حين وقف موسى أمام فرعون، قبل الخروج، أخبره برسالة من الله له: «إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ... أَطْلِقْ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي.» (خروج ٤: ٢٢-٢٣). ثمة أهمية لفكرة أن الله له ابن -وفي هذه الحالة، كانت الكلمة تشير إلى جميع نسل إبراهيم. وهذا يعود بنا إلى خلق الله لآدم وحواء.

أراد الله عائلة بشرية. أراد أن يحيا على الأرض التي خلَقها، مع البشر الذين خلقهم. وأراد لعائلته غير المنظورة وعائلته المنظورة أن تعيشا معه، وأن تعبداه. وأراد للبشر أن يتضاعفوا، وأن تصير الأرض بكاملها كجنة عدن. لكن، حين تَبَدَّ الله البشر عند برج بابل، لم يعد له أبناء، إلى أن دعا إبراهيم. وصار شعب إسرائيل عائلة الله الجديدة. وكان الوقت قد حان للرجوع إلى الخُطة الأصلية. فكما كان آدم وحواء الحاملين الأرضيين لصورة الله، سيكون على شعب إسرائيل الآن أن يشغل هذا الدور.

كانت العودة إلى سيناء رجوعاً إلى الوطن. فحتى المجمع السماوي كان هناك، يراقب عودة حُطة الله إلى حيز التنفيذ. كما كان أعضاء هذا المجمع شهوداً على قطع عهد جديد بين الله وشعبه -الناموس.

ناموس الله: سَلَّمَهُ مَجْمَعُ اللهُ

هل أصابتكَ الدهشة من قولي إن المجمع السماوي كان حاضرًا في سيناء حين سَلَّمَ اللهُ الوصايا العشر؟ إن كنت رأيت من قبل فيلماً عن الخروج وعن الرحلة إلى سيناء، فإنك قَطَعًا لم ترفيه ملائكة. لكن يقول الكتاب المقدس إنهم كانوا هناك. بل يقول أيضًا إنهم سَلَّمُوا ناموسَ اللهُ (أعمال ٧: ٥٢-٥٣؛ عبرانيين ٢: ١-٢).

كما يقول أيضًا إن الناموس قد كُتِبَ ﴿بِأَصْبَحِ اللهُ﴾ (تثنية ٩: ٩-١٠). لا بُدَّ لتلك اللغة أن تكون مألوفة -الله في صورة إنسان. كان اللهُ حاضرًا على جبل سيناء، ظاهرًا في صورة إنسان، تمامًا كقصص سفر التكوين عن ملاك الرب. وقد قام هو وجنده السماوي بتسليم الناموس لموسى ولشعب إسرائيل.

وبعد تسليم الناموس، صار بإمكان موسى، وهارون، وأبناء هارون، وسبعين من شيوخ إسرائيل أن يَرَوْا إله إسرائيل مرة ثانية في صورة إنسان. ولقد تقابلوا هذه المرة لتناول وجبة طعام (خروج ٢٤: ٩-١١). فكما كان العشاء الأخير في زمن يسوع خَتَمًا للعهد الجديد الذي قطعه بدمه، كانت هذه الوجبة احتفالًا بعهد الله الجديد مع إسرائيل على جبل سيناء، الناموس.

أعطى اللهُ إسرائيل الناموس كيما يكونوا قديسين (لاويين ١٩: ٢). أراد اللهُ أن ينفصلَ شعبُ إسرائيل عن الشعوب الأخرى، وأن يمتازوا عن الجميع بصفتهم عائلته. فكما يمتاز اللهُ كليًا عن جميع الآلهة الأخرى، وعن كل ما هو أرضي، هكذا كان من اللازم أن يمتاز شعب اللهُ عن الشعوب الأخرى.

ما الذي كانت تعنيه القداسة؟ ماذا كان المفهوم الذي يكمن وراءها؟ لم تكن القداسة تعني أن تكون شاذًا أو غريب الأطوار. بل كانت تعني أن يُعرَف المرء من خلال انتمائه إلى الرب، وتكريسه لله، واستمتاعه بكل الأشياء الجيدة في الحياة التي تُصاحب استقامته أمام الله. أراد الله أن يجتذب إسرائيل الأمم الأخرى لكي ترجع الأمم إليه (تثنية ٤: ٦-٨؛ ٢٨: ٩-١٠). ولهذا يُطَلِّقُ الكتاب المقدس على إسرائيل ﴿مَمْلَكَةٌ كَهَنِيَّةٌ﴾ (خروج ١٩: ٦)، و﴿نُورًا لِلْأُمَّمِ﴾ (إشعياء ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦؛ انظر أيضًا ٥١: ٤؛ ٦٠: ٣). لقد ورثت الأمة بكاملها مقام إبراهيم لتكون بركة لجميع الأمم (تكوين ١٢: ٣).

وَلَاءٌ مُؤَمَّنٌ

يُعتبر التصالح مع الله طريقة أخرى للحديث عن الخلاص. ولكن بالرغم مما اعتدنا أن نتعلمه في مدرسة الأحد، لم ينل بنو إسرائيل الخلاص بإطاعتهم للقوانين، وبالالتزامهم بالناموس. وسواء في العهد القديم أو الجديد، لا يُكتسب الخلاص ولا يُستحق بالجهد البشري مطلقًا. بل يُوهَبُ بنعمة الله استجابة للإيمان.

كان على بني إسرائيل كذلك، كما نحن أيضًا، المولودين بعد موت المسيح وقيامته، أن يكون عندهم إيمان. كان عليهم أن يؤمنوا بأن إلههم هو إله كل الآلهة، وأن يثقوا في أنه جعلهم شعبه. هم وحدهم الذين كان بإمكانهم الدخول إلى إله الآلهة. لم يكن الناموس هو كيف ربح بنو إسرائيل الخلاص، بل كان كيف أظهروا ولاءهم لله الذي آمنوا به. كان الخلاص بالنسبة لرجل إسرائيلي هو

الإيمان بعودة إله الآلهة وبصفاته، ورفض عبادة إله آخر. كان الخلاص يتعلق بالإيمان والولاء من القلب، لم يكن يتعلق بكسب نقاط من الله من خلال القيام بأعمال صالحة.

ارتكب داود الملك أفعالاً بشعة كالزنى، والتخطيط للقتل (٢صموئيل ١١). وبحسب الناموس، كان متعدياً الناموس ويستحق الموت على جرائمه. ولكنه مع ذلك، لم يتزعزع قط إيمانه بيهوه الإله العلي. ولم يُحوّل ولاءه إلى إله آخر. وكان الله رحيماً به.

ينطبق الشيء ذاته على العهد الجديد. فإن الإيمان بالإنجيل يعني الإيمان بأن الله، إله إسرائيل، قد جاء إلى الأرض كإنسان، ومات طوعاً على الصليب كذبيحة لأجل خطايانا، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث. يجب أن نقبل هذا بالإيمان، ثم نُبدي ولاءنا ليسوع بأن نترك كل آلهة أخرى. بغض النظر عما قد تقوله تلك الآلهة الأخرى عن الخلاص، يخبرنا الكتاب المقدس بأنه لا خلاص باسمٍ آخر غير اسم يسوع (أعمال ٤: ١٢)، وأن ذلك الإيمان ينبغي أن يظل سليماً دون أن يؤثر فيه شيء (رومية ١١: ١٧-٢٤؛ عبرانيين ٣: ١٩؛ ١٠: ٢٢، ٣٨-٣٩). الإخفاق الشخصي ليس مساوياً لاستبدال إله آخر بيسوع -ويستطيع الله أن يتبين الفارق.

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

توجد الكثير من الصور الرمزية المشوّقة في حادثة الخروج من أرض مصر، وفي ما حدث في سيناء. فإن مشهد تناول موسى والآخريين الطعام مع الله وهو في

هيئة إنسان على جبل سيناء يلفت انتباهنا على الفور. كان هنالك سبعون شيخًا مع موسى. وإن أحصيت الأمم التي نبذها الله في تكوين ١٠ بعد حادثة برج بابل، فستجدهم سبعين. وقد أوكل حكمُ تلك الأمم إلى أبناء الله -أي إلى آلهة أقل مرتبة- حين أدان إله إسرائيل الأمم (تثنية ٤: ١٩-٢٠؛ ٣٢: ٨-٩). ولماذا سبعون شيخًا، وسبعون من أبناء الله، وسبعون أمة حُرمت من ميراثها؟

جاءت هذه التشابهات عمدًا. فحين استهلَّ يسوع خدمته الأرضية، أرسل سبعين تلميذًا (لوقا ١٠: ١). كان هذا الإرسال سابقًا أو نذيرًا للإرسالية العظمى. وعدد التلاميذ هذا ينقل فكرة أن تلاميذ يسوع كان من شأنهم أن يستردوا الأمم إلى سيادة ملكوت الله. وسيُبلَّغ ذلك الملكوت صورته النهائية في نهاية الأيام في جنة عدن الكونية الجديدة الوارد ذكرها في رؤيا يوحنا ٢١-٢٢. أما تكرار الرقم سبعين فينقل لنا رسالة: إن عائلة الله الأرضية الجديدة، إسرائيل -أبناء إبراهيم- ستصير الوسيلة لاسترداد ما قد فُقد.

لكن الأمر لا يتوقف عند هذا. فقد كتب الرسول بولس في غلاطية ٣ أن المؤمنين هم ورثة المواعيد التي أعطاها الله لإبراهيم. وكل من يؤمن بيسوع هو ابن إبراهيم بالإيمان (غلاطية ٣: ٢٦-٢٩). هذا يعني أننا، أنا وأنت، قد كُلفنا بمهمة استرداد الأمم من الآلهة. وتقتضي مهمتنا أن نعيد البشر إلى الإيمان بيسوع بعد أن كانوا خاضعين لسيادة روحية لآلهة أخرى. نحن مجمع الله البشري الجديد على الأرض. وحين نتمجد، سننضم إلى عائلته الإلهية في جنة عدن الجديدة.

يعرض الكتاب المقدس هذه الأفكار في العديد من المواضع. ويصف سفر الرؤيا وراثة المؤمنين لحكم الأمم مع يسوع في نهاية الأيام (رؤيا يوحنا ٣: ٢١). وهذا يعني أننا سنحل محل أبناء الله الذين تسلطوا على تلك الأمم منذ حادثة برج بابل. ولهذا يقول يوحنا إن المؤمنين أعطاهم الله سلطانًا أن يصيروا أبناء الله (يوحنا ١: ١٢؛ قارن هذا مع ١ يوحنا ٣: ١-٣)؛ فإننا في حقيقة الأمر سنحل محل أبناء الله الإلهيين المعادين له، في آخر الأيام.

هذا هو أيضًا السبب الذي دفع بولس، حين كان يكتب للمؤمنين كي يتوقفوا عن اللجوء إلى محاكم العالم لحل نزاعاتهم، إلى أن يقول: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلَائِكَةً؟» (١ كورنثوس ٦: ٣). حين نصير آلهة (ممجدين) على الأرض الجديدة، فإننا سنفوق الملائكة في الرتبة. ويومًا ما سنجعل مثل يسوع (يوحنا ٣: ١-٣؛ ١ كورنثوس ١٥: ٣٥-٤٩)، وسنحكم معه الأمم (رؤيا يوحنا ٢: ٢٦) التي يسيطر عليها الآن آلهة معادون. إن المؤمنين، نسل إبراهيم الروحي، سيُبتلون في النهاية ما قاساه الأمم من حرمانهم من ميراثهم، وسيُبتلون أيضًا لعنة الموت التي ترتبت على الإخفاق في جنة عدن.

يجب أن نسلك كمؤمنين بهذا المصير. إن كل شيء في خُطة العهد القديم يقود إلينا. عُد بفكرك إلى جنة عدن الأولى. أراد الله لعائلتيه -الإلهية، والبشرية- أن تعيشا معًا وتحكما معًا في جنة عدن. وقد أفسد التمرد هذه الخُطة، لكن تم إحيائها ثانية بتحرير إسرائيل من أرض مصر. ومن أبناء إبراهيم كان سيأتي المسيا، الذي سيُبتل الإخفاق الذي وقع في جنة عدن (تكوين ٣: ١٥). فبدون إسرائيل ما كان لنا نصيب.

ولهذا السبب بالتحديد ستحاول الآلهة وأتباعها، مرة بعد مرة، أن تمحو
إسرائيل من الوجود.

الفصل الثامن

الموضع المقدس

أمضى بنو إسرائيل ما يزيد على عام عند جبل سيناء. لماذا كل هذه المدة؟ فقد كانوا قد دخلوا بالفعل في عهد مع الله، واستلموا الوصايا العشر. لكن كان لم يزل أمامهم الكثير ليتعلموه. كان تعهدهم بالإيمان بإله أسلافهم، إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، والولاء له، شيء، أما معرفة ما يتوقعه الله وما هي طبيعته فشيء آخر.

مفهوم القداسة

كان أساس العديد من الشرائع والممارسات الغريبة في العهد القديم هو الحاجة إلى تعليم الناس أن الله لا يشبه أي شيء آخر. فهو فريد في طبيعته وصفاته؛ وهو آخَرٌ مختلف تمامًا عن البشر، وعن أي شيء آخر. وبالنسبة لإسرائيل، كان هذا حقًا يلزم التشديد عليه في كل وقت. وإلا لظنوا أن الله إله عادي.

والكلمة الكتابية المعبرة عن اختلاف الله وتفردته عن الآخرين هي القداسة. وهي تعني "مُنْفَصِل" أو "مُخَصَّص". لا يتعلق المفهوم بالضرورة بالسلوك

الأخلاقي -أي بفكرة أننا لا بد أن نسلك بطريقة معينة لنعكس مقاييس الله الأخلاقية المميّزة- مع أن هذا متضمّن بالفعل داخل المفهوم (لاويين ١٩: ٢).

لم يكتفِ الله بتقديم شرح عقلي عن القداسة لبني إسرائيل، بل أراد أن يتغلغل مفهوم اختلافه عن الآخرين داخل حياة إسرائيل القديمة. ويخبرنا الكتاب المقدس بأن هذا تحقق من خلال طقوس وشعائر (أفعال رمزية)، ومن خلال قوانين الاقتراب من المواضيع المقدسة.

ما معنى أن يكون الله "آخرًا" أي مختلفًا عن الآخرين؟

الإجابة المختصرة عن هذا السؤال هي «في كل شيء»، لكن هذه الإجابة نظرية ومجردة أكثر من اللازم. وقد كان الكتاب المقدس أكثر واقعية، والطقوس والقوانين اللازمة لحياة مجتمع بني إسرائيل تعكس ذلك.

على سبيل المثال، يعلمنا الكتاب المقدس أن الله لم يكن فقط مصدر حياة شعب إسرائيل -بل كان هو الحياة. ليس الله من هذه الأرض، حيث الموت، والمرض، والعيوب، والنقائص. إن عالمه خارق للطبيعة. أما عالمنا نحن فأرضي. يصير الموضع الأرضي الذي يشغله الله مقدّسًا ومن عالم آخر بفضل حضوره. أما الموضع الذي نشغله نحن فهو عادي. لكن الله هو النقيض تمامًا من كل ما هو عادي.

في إسرائيل قديمًا، نُقلت هذه الأفكار من خلال دعوة الناس وتطهرهم ليَشغَلوا الموضع نفسه الذي يشغله الله. وتنسق الكثير من شرائع العهد القديم عملية التطهير هذه.

كان ممكناً أن يصير بنو إسرائيل غير مؤهلين (يصيروا "نجسين")، أي محرومين من حق دخول الموضع المقدس من خلال مجموعة متنوعة من الأفعال والظروف. فإن ممارسة الجنس، أو نرف الدم، أو بعض الإعاقات الجسدية، أو لمس جسد ميت (إنسان أو حيوان)، جميع هذه كانت تنجس الإسرائيلي. كما نُهي بنو إسرائيل عن أكل بعض الطيور الجارحة (كالنسور، والصقور؛ لاويين ١١: ١٣-١٩) التي تتغذى على جثث الحيوانات أو عن أكل بعض الحيوانات التي كان يمكن إيجادها فوق جثة أو بداخلها (كالعظاءة [السحلية]، والفأر؛ لاويين ١١: ٢٤-٤٠).

في هذه الأمثلة، لم تكن النجاسة تتعلق بالأخلاقيات وحدها، بل بالأحرى بالارتباط بفقدان الحياة، وعدم تكافؤ ذلك مع كمال الله. وبالرغم من بساطة هذا المنطق، إلا أنه يبدو غريباً على أذهاننا في العصر الحديث. فقد كان نرف الدم أو السوائل الجنسية كان يعتبر فقداناً لذلك الشيء الذي منه الحياة وعليه يقوم دوامها. لم يكن يجب أن يرتبط الله بفقدان الحياة، بل بالأحرى بكونه واهب الحياة. كانت مطلب "التطهير" بعد فقدان مثل هذه السوائل تذكيراً بطبيعة الله. وكان هذا "التطهير" نفسه مطلوباً بعد التنجس بملامسة الميت. أيضاً كان من الممكن عزل شخص من المواضع المقدسة في إسرائيل بسبب عيب جسدي أو إصابة جسدية، والسبب في هذه الحالة هو عدم تكافؤ مثل هذا العيب مع كمال الله.

كان المقصود بجميع هذه الشرائع أن تسلط الضوء على رؤية كونية فائقة للطبيعة.

حل مشكلة النجاسة

كان "التنجس" وعدم ملاءمة الشخص للاقتراب من الموضع المقدس مسألة خطيرة بالنسبة لبني إسرائيل القدامى. فبناء على ذلك لم يكن بإمكانهم تقديم الذبائح والتقدمات في المواضع اللازمة إن كانوا نجسين. وكان الحل هو التطهير الطقسي، الذي كان يتضمن أحياناً تقديم ذبيحة خاصة، أو فترة انتظار.

ويُعَدُّ منطِقُ الذبيحةِ الدموية -أي وضع الدم أو رشه على شخص أو شيء لجعله طاهراً، وملائماً للتواجد في موضع مقدس- غريباً علينا. لكن الذبائح الدموية كان لها غرض لاهوتي؛ فقد كانت مقدّمة لمفهوم البدلية. وبما أن الدم كان هو قوة الحياة (لاويين ١٧: ١١)، فإن إزهاق حياة حيوان كان يُعَلِّمُ درساً، ألا وهو أن الاقتراب إلى الله بناء على آية شروط غير الشروط التي وضعها هو، يعني الموت. كان دَمُ الذبيحةِ بديلاً رحيماً يهدف إلى تصحيح وضع الإسرائيلي الموجود في حالة نجاسة.

والفكرة التعليمية هي أن الله كان يحافظ على حياة الإسرائيلي يجعل الذبيحة بديلاً عنه. كانت الحياة البشرية أكثر قداسة من حياة الحيوان لأن البشر خُلِقُوا على صورة الله (تكوين ١: ٢٦؛ ٩: ٦). ويدين بنو إسرائيل بوجودهم لتدخل فائق للطبيعة مكّن إبراهيم وسارة من أن ينجبا ابناً (تكوين ١٢: ١-٣). لكن كانت الحياة البشرية في مأزق في محضر إله قدوس. ولذا، ذكّرتهم الذبائح بأن الله له سلطان على الحياة والموت، وأن الله أراد أن يُظهر لهم رحمته.

السماء (والجحيم) على الأرض

إثارة الانتباه إلى اختلاف الله عن الآخرين نقلت إلينا بعض الأفكار، ليس عن الله فقط، بل أيضًا عن الحدود فوق الطبيعية. وكانت فكرة "تمييز الموضوع أي الحيز" تُشكّل شرطًا أساسيًا مهمًا لرؤية بني إسرائيل الكونية لما هو خارق للطبيعة. فإن كان موضع سُكنى حضور الله مقدسًا، فبالتالي لم تكن الأرض في المواضيع الأخرى كذلك - إما أنها كانت عادية، أو، في بعض الحالات، كانت معادية وشريرة.

ارتبط حضور الله بمعالم تُذكر بجنة عدن. فالكثير من معالم خيمة الاجتماع والهيكل قد صُممت لتجعل الشعب يفكر في جنة عدن، حيث التقت السماء والأرض. فقد صُممت المنارة الذهبية وزُيّنت في هيئة شجرة (خروج ٢٥: ٣١-٤٠)، في تشابه مع شجرة الحياة في جنة عدن. وكانت المنارة قائمة كحارس أمام الحجاب الذي كان يُسدُّ الطريق إلى قدس الأقداس، حيث كان تابوت العهد متمركزًا، وحيث كان الغطاء مصممًا ليكون بمثابة عرش الله (خروج ٢٥: ١٠-٢٢). كما توجد صلة واضحة بين الكروبيم بداخل قدس الأقداس، وجنة عدن. فقد وقف الكروبيم في جنة عدن لحراسة موضع سكنى الله (تكوين ٣: ٢٤). وتولى الكروبان داخل قدس الأقداس حراسة غطاء تابوت العهد (خروج ٢٥: ١٨-٢٠). ولاحقًا، بعدما بنى سليمان الهيكل، تم نقل تركيب خيمة الاجتماع إلى داخل الهيكل، وتم وضع كروبيين عملاقين فوق غطاء التابوت بمثابة عرشٍ لله، ليكون التابوت بذلك موطئًا، أي مسندًا، لتقديمه (١ أخبار الأيام ٢٨: ٢).

كما قد زُيّن الهيكلُ مثل جنة عدن، ممتلئًا بصور لنباتات خضراء مورقة وحيوانات (١ ملوك ٦-٧). ونُقشت الأزهارُ، وأشجارُ النخيل، والأسودُ، والرّمّانات

على مبانيه. كان هذا تذكراً بصرياً مثيراً لصورة ذهنية لأول موضع جاء الله إليه إلى الأرض كي يسكن مع عائلته البشرية.

كان بنو إسرائيل في حاجة أيضاً إلى تذكيرهم بالجانب المظلم من الجغرافيا الكونية. إن كانت محلة إسرائيل، ولاحقاً أمة إسرائيل، أرضاً مقدسة، أي بيت الله وشعبه، إذن الأراضي الواقعة خارج إسرائيل كانت أراضٍ نجسة. فقد كان الله، قبل سيناء بفترة طويلة، قد نبذ الأمم الأخرى، وأسلمها إلى آلهة أدنى منه (تثنية ٤: ١٩-٢٠؛ ٣٢: ٨-٩). ويوماً ما سوف يسترد هذه الأمم، التي كانت، في الأزمنة الكتابية، لا تزال مواضع أو ممالك ظلمة.

يوضح أحد طقوس شعب إسرائيل هذا الدرس جيداً بتفصيل يتعدى نسيانه. يحتوي يوم الكفارة ("يوم كيبور")، الذي يُحتفل به كل عام، والذي ورد وصفه في لاويين ١٦، على درس مذهل لتذكير الشعب بالأرض المقدسة والأرض النجسة.

يشترك في هذا اليوم تَيْسَان. التيس الأول يُقدّم ذبيحة، ويُرَش دمه في القدس لتطهيره من التنجيس البشري له لمدة عام آخر. وكان التيس الذي يذبح هو "للرب". أما التيس الآخر فلم يكن يُذبح -بل كان يُطلق إلى البرية بعد أن ينقل رئيس الكهنة بشكل رمزي خطايا الشعب إليه. وكان هذا التيس "عزازيل".

من هو أو ما هو "عزازيل"؟ تترجم بعض الترجمات هذه الكلمة "كباش الفداء" [scapegoat] بدلاً من عزازيل. وفي مخطوطات البحر الميت، وردت الكلمة العبرية في صيغة اسم علم -وهو اسم أحد الشياطين [demon]. ففي أثناء

^٢ "تيس الفداء" هي ترجمة أفضل

رحلتهم من البرية إلى أرض الموعد، كان بنو إسرائيل يذبحون للشياطين^٣ "demons" (لاويين ١٧: ٧)، لخشيتهم من تهديد قوى الشر لمحلثهم. فقد كانت البرية، في النهاية، خارج محلة شعب إسرائيل؛ وبالتالي كانت موضع تواجد كائنات شيطانية شريرة. كان لا بد من وقف هذه الممارسة، وتم هذا من خلال التيس عزازيل. لم يكن التيس عزازيل تقدمه للآلهة الشريرة - فهو لم يقدم قط كذبيحة، بل كان إرساله إلى البرية طريقة رمزية لتطهير أرض مقدسة (محلة إسرائيل) من الخطية.

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

تغيرت الأحوال في العهد الجديد، لكنها أيضًا ظلت كما هي. كان الله لا يزال "آخرًا"، أي مختلفًا عن الآخرين. وتتطلب قداسته أن نتطهر لندخل إلى حضرته. وبالنسبة لنا، يتحقق هذا بالإيمان بما عمله يسوع على الصليب.

كل ما فعله يسوع نيابة عنا كان له معنى إضافيًا خارقًا للطبيعة. فهو قد خرج إلى البرية - حيث نتوقع إيجاد قوى الشر- وغلب تجربة إبليس. ثم تبع هذا الحدث بداية خدمته، والتي اكتملت بهزيمة الشيطان، الذي له "سلطان الموت" (عبرانيين ٢: ١٤). وقد صُلب يسوع خارج المدينة المقدسة (عبرانيين ١٣: ١٢). فقد كان نجسًا لأن خطايانا وُضعت عليه، وكانت أورشليم أرضًا مقدسة.

إن موت يسوع وقيامته يقداساننا - أي يجعلنا مؤهلين للدخول إلى حضرة الله. لقد "انترعت" خطايانا (رومية ١١: ٢٧؛ انظر أيضًا يوحنا ٣: ٥). وعلى الرغم

^٣ قوات الشر (الظلمة) الروحية

من كوننا خطاة نجسين، لكننا قديسون إن كنا في المسيح. وعلى الرغم من كوننا غير كاملين، إلا أن نقائصنا وعيوبنا يُصَفح عنها لأجل يسوع. الأمر بسيط جدًّا، ولكنه مع ذلك عميق جدًّا.

نحن نميل إلى الاعتقاد بأن بني إسرائيل كانوا من نواجٍ عدَّة أكثر تمتعًا منا بامتيازات روحية. ففي النهاية، كان محضر الله في وسطهم تمامًا. كما أنهم عاشوا في عالم كانت الجغرافيا الكونية الخارقة للطبيعة واقعية. ونميل إلى الاعتقاد بأننا يمكن أن نكون أكثر روحانية، وأكثر انسجامًا مع الله، فقط إن كان لدينا ما كان لديهم، و فقط إن كانت رسائل التذكير المستمرة من الله تلك هي واقع حياتنا. يقول العهد الجديد إنها بالفعل واقع حياتنا.

لسنا في حاجة إلى خيمة اجتماع أو إلى هيكل لتمييز موضع مقدس. فإن أجسادنا موضع مقدس. يطلق بولس على أجسادنا الأرضية "خيمة" (٢ كورنثوس ٥: ٤)، إذ يسكن بداخلنا الحضور الإلهي ذاته الذي ملأ قدس الأقداس في خيمة الاجتماع وفي الهيكل (رومية ٨: ٩-١١). وفي النهاية، ستموت أجسادنا، المسكن الأرضي لأرواحنا، ليحل محلها ﴿بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ﴾ (٢ كورنثوس ٥: ١-٣)، مسكن سماوي -عدن الجديدة، السماء العائدة إلى الأرض (رؤيا يوحنا ٢٢: ٣-١).

بما أن الله يسكن اليوم في المؤمنين بروحه، فكل كنيسة إذن -أي كل اجتماع للمؤمنين- هي أرض مقدسة. ولهذا، حين كان بولس يوصي بأسف أهل كورنثوس بعزل مؤمن غير تائب كان يعيش في الخطية، أوصاهم بأن «يُسَلَّمْ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ» (١ كورنثوس ٥: ٥). كانت الكنيسة أرضًا مقدسة. وكان نطاق

حكم إبليس خارج شركة المؤمنين، حيث تنتمي الخطية وتأثيراتها المدمرة للذات.

حان الوقت لأن ننظر لأنفسنا بعيون خارقة للطبيعة. أنت ابنُ الله، أهل لموضع مقدس، لا بسبب ما تفعله أو ما لا تفعله، بل لأنك في المسيح، ابنُ الله بالتبني (رومية ٨: ١٥؛ غلاطية ٤: ٥). فقد انتُشِلتَ من عالم الظلمة و"نُقِلتَ... إلى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ" (كولوسي ١: ١٣).

ينبغي علينا ألا ننسى، ولو للحظة واحدة، مَنْ نحن في المسيح -وما الذي يعنيه هذا للعالم.

الفصل التاسع

حربٌ مقدّسةٌ

إن الكتاب المقدس كتابٌ مثير للجدل. والذين لا يؤمنون به بوصفه كلمة الله عادة ما يعترضون على ما يقوله. إلا أن بعض أجزاء الكتاب المقدس تثير انزعاج حتى المؤمنين أنفسهم. وتعد الحرب التي شنّها إسرائيل لغزو أرض الموعد مثالاً على هذا.

لماذا؟ على الأغلب بسبب أن القتل كان يبدو عشوائياً وعلى نحو زائد عن الحد. لماذا كان من الضروري قتل شعوب كاملة في بعض المدن: رجال، ونساء، وأطفال، وحتى البهائم؟ لماذا لم يُسمح للسكان بالاستسلام؟ ألم يكن سيئهم أفضل من ذبحهم؟

يوجد جواب على تلك الاعتراضات، لكنني اكتشفت أن الجواب ربما يزعج المؤمنين بقدر انزعاجهم من المشكلة نفسها. لا يمكنك فهم الأساس المنطقي والدافع وراء قصص الغزو إلا حين تراهما من خلال منظور بني إسرائيل للعالم الخارق للطبيعة.

منطق إسرائيل للعالم الخارق للطبيعة

هناك إطار يحيط بمعارك امتلاك أرض الموعد، وهذا الإطار يتكون من عاملين، كل منهما متأصل بعمق في فهم شعب إسرائيل لعالمهم بكونه ليس مجرد موضع سُكنى البشر، بل أيضًا كغنيمة في حرب روحية غير منظورة. وقد تحدثنا عن كلا العاملين بالفعل، لكن لنراجع ما قلناه.

العامل الأول هو نتائج أحداث برج بابل، حين قرر الله، بعد أن تمردت الأمم عليه، أنه لم يعد يرغب في علاقة مباشرة مع شعوب تلك الأمم. عوضًا عن ذلك، عَيَّنَ الله أعضاء من مجمه الإلهي، أبناء الله، أن يحكموا تلك الأمم (تثنية ٤: ١٩-٢٠؛ ٣٢: ٨-٩). بعد ذلك، دعا الله إبراهيم، ومكَّنه هو وزوجته سارة من أن ينجب طفلًا (إسحاق)، الذي منه سيأتي شعب إسرائيل.

وعرفنا بحسب مزمور ٨٢ أن هؤلاء الآلهة الأدنى مرتبة قد فسدوا. فقد سمحوا بالظلم. وصار الناس يعبدونهم بدلًا من أن يعبدوا الله العلي. وبالتالي صاروا أعداء الله وشعبه إسرائيل. وبما أن بعضًا من تلك الأمم كانت تسكن في محيط أرض كنعان، التي انتوى الله أن يعطيها لأمتة إسرائيل بعد الخروج من مصر، فقد آمن موسى وبنو إسرائيل بأن الشعوب الساكنة في تلك الأراضي كانوا أعداءهم البشريين الفانيين، وبأن آلهتهم قد يفعلون كل ما في وسعهم لإبادة إسرائيل والقضاء عليها.

وكان العامل الثاني مرعبًا لبني إسرائيل بدرجة أكبر. وأفضل تفسير له هو ما حدث عندما وصل بنو إسرائيل حدود كنعان، أرض الموعد.

أرسل موسى اثني عشر جاسوسًا إلى كنعان ليأتوا بتقرير عن الأرض وسكانها. عاد الجواسيس ومعهم أدلة تفيد بأن الأرض كانت نفسها كانت رائعة -فهي

تفيض "لبناً وعسلاً" - كما أخبرهم الله تمامًا (عدد ١٣: ٢٧). ولكنهم بعد هذا ألقوا الخبر الصاعقة: «الأرض التي مررنا فيها لتتجسسها هي أرض تأكل سكانها، وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة، بني عناق من الجبابرة. فكنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم.» (عدد ١٣: ٣٢-٣٣).

تحدثنا من قبل عن الجبابرة "نفيليم". كان هؤلاء هم النسل الشرير لأبناء الله وبنات البشر كما ورد في تكوين ٦: ١-٤. كان عمالقة بني عناق الذين رأهم جواسيس بني إسرائيل في كنعان هم نسل هؤلاء، وكان المزيد منهم متناثرين في جميع أنحاء أرض كنعان، ضمن الأمم والمدن التي من المفترض لبني إسرائيل أن يهزموها ويستولوا على أراضيها (عدد ١٣: ٢٨-٢٩). وربما بدت مهمة غزو الأرض وهزيمة أهلها قبلاً مهمة صعبة، ولكنها الآن باتت مستحيلة، بكل ما في الكلمة من معنى. والآن، كي يستولوا على الأرض، يتحتم عليهم أن يواجهوا محاربين ضخام الجثة على نحو غير طبيعي.

اثنان فقط من الجواسيس - يشوع وكالب - آمنوا أن الله سيُعِين بني إسرائيل على هزيمة بني عناق. لكن الباقين أقنعوا الشعب بأنهم حتماً مهزومون. وبدلاً من أن يثقوا بأن الله - الإله ذاته الذي أباد فرعون وجيشه عن بكرة أبيهم - سيدخل لمنحهم الغلبة، انتحبوا قائلين: «لَا نَقْدِرُ أَنْ نَضْعَدَ إِلَى الشَّعْبِ، لِأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا.» (عدد ١٣: ٣١).

فأجاب الله: «حَتَّى مَتَى يُهَيِّنُنِي هَذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لَا يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسْطِهِمْ؟» (عدد ١٤: ١١). في حقيقة الأمر، كان الله

في شدة الغضب حتى أنه هدد بأن ينبذ إسرائيل -الشيء ذاته الذي عمله مع الأمم عند برج بابل- ويبدأ من جديد، هذه المرة مع موسى: «إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَيْحِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ.» (عدد ١٤: ١٢).

لكن موسى توَسَّلَ إلى الله كي يتراجع عن هذا (عدد ١٤: ١٣-١٩). وتراجع الله بالفعل، لكنه لم يستطع التغاضي عن عدم إيمان الشعب. كان يجب أن يتعلموا درسًا، وسيكون هذا الدرس قاسيًا. فقد قال الله لموسى:

«قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ. وَلَكِنْ حَيٌّ أَنَا فَتَمَلُّوا كُلَّ الْأَرْضِ مِنْ مَجْدِ الرَّبِّ، إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَأَوْا مُجْدِي وَأَيَاتِي الَّتِي عَمَلْتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي الْبَرِّيَّةِ، وَجَرَّبُونِي الْآنَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، وَأَمْ يَسْمَعُونَ لِقَوْلِي، لَنْ يَرَوْا الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لِأَبَائِهِمْ. وَجَمِيعَ الَّذِينَ أَهَانُونِي لَا يَرَوْنَهَا...»

في هذا القفرِ تَسْقُطُ جُثَثُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنْ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَدْمَرُوا عَلَيَّ. لَنْ تَدْخُلُوا الْأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لِأَسْكِنَتِكُمْ فِيهَا، مَا عَدَا كَالِبَ بْنِ يَفَنَّةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ. وَأَمَّا أَطْفَالُكُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَادُخِلُهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الْأَرْضَ الَّتِي احْتَقَرْتُمُوهَا.» (عدد ١٤: ٢٠-٣١).

كانت عبارة "عَشَرَ مَرَّاتٍ" صورة بلاغية في العصور الكتابية تعني "مرارًا وتكرارًا" (تكوين ٣١: ٧؛ أيوب ١٩: ٣). حتى هذا الحين، كان الله متسامحًا وامتساهلاً مع تدمرات الشعب. وبدلاً من أن يشعروا بالسعادة الغامرة من جراء أنهم لم يعودوا عبيدًا في مصر، تدمروا بشأن الطعام الذي كانوا مضطرين أن يأكلوه (عدد ١١: ١-١٤، ٣١-٣٥)، وبشأن القائد المختار من الله، موسى (عدد ١٢:

١٦-١). لكن هذه المرة، نفذَ صبر الله، ويجب أن يكون لعدم إيمانهم عواقب وخيمة. وقد كُتِبَ على شعب إسرائيل أن يهيموا ويتيهوا في البرية أربعين سنة إلى أن يموت جميع البالغين الذين لم يؤمنوا.

فرصة ثانية

سَيَحْضُلُ شعبُ إسرائيل على فرصة ثانية لامتلاك أرض الموعد. يُسَجَّلُ تشيئة ٢-٣ الأحداث التي تصف كيف انتهى الأمر ببني إسرائيل خلال أربعين سنة من التَّجْوال، في الأرض الواقعة على الجانب الآخر من نهر الأردن (التي كان يُطلق عليها "عبر الأردن" [Transjordan])، شرق أرض الموعد. كانت أراضي عبر الأردن هي أدوم، وموآب، وعمون، وهي الأراضي التي كان الله قد أعطها لنسل لوط، ابن أخي إبراهيم، ولعيسو، أخي يعقوب. وكانت الشعوب التي سكنت هناك أقرباء لبني إسرائيل.. غالبيتهم، على أية حال. لكن كان هناك آخرون أيضًا. أراد الله أن يقوم موسى بهذه الرحلة لغرض محدد. لم يكن الأمر يتعلق بزيارة أقارب بعيدين. لكن في النهاية، وصل بنو إسرائيل إلى منطقة تدعى باشان. كان للموضع سمعة مخيفة. وقد اشتهرت باشان في الكتابات القديمة من خارج الكتاب المقدس، بأنها "موضع سكنى الحية". وكانت مدينتان من مدن باشان الرئيسية، عَشْتَارُوث وإِدْرَعِي، اللتان ورد ذكرهما بالارتباط بهذه الرحلة (تشئية ١: ٤؛ يشوع ١٣: ١٢)، تعتبران بوابتين للدخول إلى الهاوية، عالم الأموات

السفلي.^٤ وفي سياق رؤية إسرائيل للعالم الخارق للطبيعة، اقتاد الله بني إسرائيل إلى أبواب الجحيم نفسها.

ولم يكن هذا كل شيء.

قاد الله بني إسرائيل إلى هناك لمواجهة ملكين، سيحون وعوج. كان هذان الملكان أموريين (تثنية ٣: ٢-٣؛ ٣١: ٤)، وحاكمين لمن يُطَلَّق عليهم الكتاب المقدس الرفاثيين. وكما ذكر تثنية ٢: ١١ مُنذراً، كان العناقون ﴿هُم أَيْضًا يُحْسِبُونَ رَفَائِيَّيْنَ﴾ (عمالقة). وهكذا، اقتاد الله الشعب، بواسطة موسى، إلى منطقة أخرى يسكنها الجنس ذاته من العمالقة الذين كانوا قبل سنوات قد أربعوا جواسيس بني إسرائيل حتى أفقدوهم إيمانهم (عدد ١٣: ٣٢-٣٣)، ذلك الحدث الذي كان السبب في الأربعين عاماً من التيهان في البرية.

ولهذا أتى بهم الله إلى هناك؟ لأن هذه المواجهة كانت دلالة مُنذرة بما كان لا بد عمله بعد انقضاء الأربعين عاماً. فسيتحتم على شعب إسرائيل في النهاية أن يعبروا نهر الأردن كي يسكنوا الأرض التي أعطاها الرب لهم. كان الله يمتحن شعبه. هل سيؤمنون ويحاربون هذه المرة؟ إن كان كذلك، فإن النصر سيعطيهم ثقة وإيماناً في ما ينتظرهم في المستقبل.

ولّى بنو إسرائيل الأدبار قبل سنوات. لكن هذه المرة انتهت القصة نهاية مختلفة، إذ قال موسى: «فَدَفَعَهُ الرَّبُّ إِلَيْنَا أَمَامَنَا [سيحون]، فَضَرَبْنَاهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ... فَدَفَعَ الرَّبُّ إِلَيْنَا إِلَى أَيْدِينَا عَوْجَ أَيْضًا مَلِكِ بَاشَانَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ، فَضَرَبْنَاهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ.» (تثنية ٢: ٣٣؛ ٣: ٣). عندما أعاد عاموس النبي سرد أحداث

^٤ المكان الذي يذهب إليه جميع الأموات. بحسب فكر العهد القديم، إنهم "يهبطون" إلى شيول؛ ومن هنا جاءت التسمية: العالم "السفلي".

هذه المواجهة في سفره الكتابي بعد عدة سنوات، وَصَفَ نتيجة المعركة كالتالي: «وَأَنَا قَدْ أَبَدْتُ مِنْ أَمَامِهِمُ الْأُمُورِيَّ الَّذِي قَامَتْهُ مِثْلُ قَامَةِ الْأَرْزِ، وَهُوَ قَوِيٌّ كَالْبَلُوطِ.» (عاموس ٢: ٩).

كانت هذه طريقة قاسية ليبدأوا بها فرصتهم الثانية. فقد طالبهم الله أن يواجهوا مخاوفهم- تلك الأهوال التي كَلَّفَتْهم من قبل أربعين سنة من التيهان دون هدف. كان الإله الذي شق البحر الأحمر يقف في صفهم. وقد حان الوقت ليتذكروا هذا.

"مُحَرَّمُونَ"

ريح شعب إسرائيل المعركة ضد سيحون وعوج. وهنا نحصل على أول لمحة عن السبب الذي لأجله اقتضى الاستيلاء على أرض الموعد في بعض الأحيان الإبادة التامة. فقد كان جميع سكان المدن التي كانت موطنًا للرفائيين العمالقة "مُحَرَّمِينَ"^٥ (تثنية ٣: ٦). لم يكن الهدف هو الانتقام، بل التأكد من إبادة سلالة الجبابرة. فبالنسبة لبني إسرائيل، كان أسلاف عشيرة العمالق شيطانين، إذ كانوا ثمرة كائنات إلهية متمردة وساقطة. لم يكن ممكناً لبني إسرائيل أن يتواجدوا جنباً إلى جنب مع سلالة ذات أصلٍ شيطاني.

مر الوقت، وقبل أن يعبر بنو إسرائيل نهر الأردن ليدخلوا كنعان، مات موسى. وانتقلت القيادة إلى يشوع. وقاد يشوع الكثير من الحملات العسكرية في

^٥ في الترجمة الإنجليزية، تعني الكلمة: مخصصين للهلاك "devoted to destruction"

غضون احتلال إسرائيل لأرض الموعد، وكان الإطار الذي حدّد تلك الحملات هما العاملان اللذان ذكرتهما سابقًا في هذا الفصل: طرد الأمم المعادية، وفي غضون ذلك، إبادة سلالة عشيرة العمالقة.

حين ننظر إلى عملية امتلاك أرض الموعد داخل ذلك الإطار، نراها حربًا مقدسة -أي معركة ضد قوى الظلمة والأعداء الخاضعين لهيمنة آلهة معادين يقول الكتاب المقدس عنهم إنهم كائنات روحية حقيقية.

وَيُلَخِّصُ الْأَسَاسَ الْمُنطِقِيَّ لِلْاِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَرْضِ عَلَى نَحْوِ جِيدٍ فِي يَشُوعَ ١١:

٢١-٢٢.

﴿وَجَاءَ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَقَرَضَ الْعَنَاقِيَّيْنَ مِنَ الْجَبَلِ، مِنْ حَبْرُونَ وَمِنْ دَبِيرَ وَمِنْ عَنَابَ، وَمِنْ جَمِيعِ جَبَلِ يَهُودَا، وَمِنْ كُلِّ جَبَلِ إِسْرَائِيلَ. حَرَمَهُمْ يَشُوعُ مَعَ مُدُنِهِمْ. فَلَمْ يَتَبَقَّ عَنَاقِيُّونَ فِي أَرْضِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَكِنْ بَقُوا فِي عَزَّةَ وَجَتَّ وَأَشْدُودَ.﴾

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

كانت حملات يشوع ناجحة عمومًا، لكنها لم تكن مكتملة. فقد أفلت منهم بعض العمالقة -وفي حين أنه ربما لم يَبْدُ هذا مهمًا بدرجة كبيرة، إلا أنه كان يُنذر بأحداث مستقبلية. فقد انتهى المطاف ببعضهم في جت، وصارت جت مدينة فلسطينية (يشوع ١٣: ٣)، وكانت هذه المدينة مسقط رأس جليات في أيام الملك داود (١صموئيل ١٧: ٤). ولم يكن جليات هو العملاق الوحيد في جت (١أخبار الأيام ٢٠: ٥-٨). وهكذا، لم يتعرض جميع من كانوا "محرّمين" في أثناء

استيلاء إسرائيل على أرض الموعد للإبادة بالفعل، ولأن الحملات العسكرية لم تُنفذ جميع التوجيهات الأساسية لها، كان لذلك عواقب على بني إسرائيل.

يجبرنا سفر القضاة بأن الاستيلاء على الأرض لم يكن كاملاً من نواحٍ أخرى وقت موت يشوع. فالاستيلاء على الأرض بكاملها لم يتم قط. فقد قرر بنو إسرائيل أنهم أنجزوا القدر الكافي، وعصوا وصية الله التي أمرتهم بطرد الأمم الأخرى. لكن الطاعة الجزئية عصيان.

ظل بنو إسرائيل قرونًا يدفعون ثمن قرارهم هذا بعدم استكمال أهداف الله. ويكرر سفر القضاة دورة مُروّعة: إذ تعرض إسرائيل للطغيان بصورة متكررة على يد أمم معادية، وكاد الولاء بالإيمان بالله يصبح معدومًا تمامًا. ومع أن الأحوال تحسنت في عهد الملك داود وابنه سليمان، لكن بمجرد موت سليمان، فسدت إسرائيل وتفككت بفعل الحرب الأهلية، وعبادة الأوثان.

ألقي الفشل الكبير بظلاله على مجد النجاح في الحرب ودخول الأرض. فقد انتزعت الهزيمة من فك الانتصارات. وباء حكم ملكوت الله، وخطته لاستعادة جنة عدن بالفشل. لكن ظلت النظرة إلى العالم الفائق للطبيعة التي نشأت من بابل، مع خضوع أمم غير مؤمنة لسيادة آلهة شريرة، سليمة دون المساس بها. هُزم إسرائيل وتبدد، وخضعت أرض الموعد لحكم آلهة أخرى وشعوبها. هذه الرؤية الكونية نفسها تتخلل العهد الجديد أيضًا، حيث يستخدم بولس ألفاظًا، مثل: رياسات، وسلطين، وعروش، وسيادات لوصف قوات الظلمة. وقد كان كل لفظ من تلك الألفاظ يُستخدم قديمًا للإشارة إلى حُكم منطقة جغرافية (إقليم أو مقاطعة).

كان السبب في إخفاق بني إسرائيل، شعب الله، هو عصيانهم وخيانتهم. فالبشر ضعفاء. وربما نتساءل: «لماذا يتكبد الله العناء للتعامل معنا؟» لكن إن رجعنا بالذاكرة إلى جنة عدن، لعلنا السبب. فقد ألزم الله نفسه بالبشر وارتبط بهم. نحن مخلوقون على صورته، ونحن عائلته الأرضية. إن خطته الأصلية لحكم الأرض تشملنا. وأن يستبعد الله مشاركة البشر في حكمه على الأرض من خلال مجمهه إنما يعني عجزه عن إنجاح خطته، أو أنها كانت فكرة سيئة من الأساس. ليس الله عاجزاً عن تحقيق أهدافه. وكما ذكرْتُ في فصل سابق، هو لا يرتكب أخطاء.

كان الوقت قد حان لطريقة جديدة لحل مشكلة الخطية والإخفاق القديمة. لم يكن من الممكن الوثوق بالبشر لإنهاض وإحياء حكم الملكوت العَدَنِي. الله وحده وبنفسه هو القادر على إتمام ما يلزم. كان الله وحده القادر على الوفاء بالتزامات العهود التي قطعها. لكن لم يكن هذا يعني استبعاد البشر. بل عوضاً عن ذلك، كان على الله أن يصير إنساناً. وبهذا يُكْمِلُ الناموس والعهود بنفسه، ثم يحمل عقوبة إخفاق كل البشر. لكن تحقيق هذا الحل الفائق التصور كان يعني وجوب أن يظل مكتوماً عن الجميع، بمن فيهم الكائنات العاقلة الفائقة للطبيعة المعادية لمقاصده. ولم يكن هذا بالأمر الهين.

الفصل العاشر

مُخْتَفٍ تَحْتَ بَصْرِ الْجَمِيعِ

ظَلَّ اللهُ مِنْذُ السَّقُوطِ، يَجَاهِدُ إِحْيَاءَ هَدْفِهِ الْأَصْلِيِّ لِجَنَّةِ عَدْنِ، أَلَا وَهُوَ أَنْ يَجِيَا مَعَ كُلِّ مَنْ عَائِلَتَهُ الْإِلَهِيَّةَ وَعَائِلَتَهُ الْأَرْضِيَّةَ عَلَى الْأَرْضِ. أَوْصَى اللهُ آدَمَ وَحَوَاءَ بِأَنْ يَثْمِرَا وَيَكْثُرَا، وَبِهَذَا يَوْسَعَا حُكْمَ اللهِ الصَّالِحِ عَلَى بَقِيَّةِ الْكَوْكَبِ. أَرَادَ اللهُ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَكَانًا تَتَلَقَى فِيهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَيُمْكِنُ فِيهِ لِلْبَشَرِ أَنْ يَسْتَمْتَعُوا بِالْإِلَهِيَّاتِ، وَيُمْكِنُ لِلْإِلَهِيَّاتِ أَنْ تَسْتَمْتَعَ بِالْأَرْضِ وَبِالْبَشَرِ. وَنَعْلَمُ مَا آلَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ.

تاريخ من الإخفاقات

أَخْطَأَ الْبَشَرُ وَطُرِدُوا مِنْ مَحْضَرِ اللهِ. وَأَغْلَقْتَ جَنَّةَ عَدْنِ. كَمَا طُرِدَ الْعَدُوَّ الْإِلَهِيَّ، الْحَيَاةَ -أَيَّ طُرْحٍ أَوْ قُطْعٍ- مِنْ مَحْضَرِ اللهِ إِلَى الْأَرْضِ، حَيْثُ يَمْلِكُ الْمَوْتُ، وَحَيْثُ الْحَيَاةُ لَيْسَتْ أَبَدِيَّةً. وَصَارَ سَيِّدُ الْأَمْوَاتِ، وَبِنَاءِ عَلَيْهِ صَارَ لَهُ حَقٌّ شَرْعِيٌّ فِي كُلِّ كَائِنٍ بَشَرِيٍّ سَيُولَدُ يَوْمًا عَلَى الْأَرْضِ -لَأَنَّ الْبَشَرَ يَخْطِئُونَ، وَأَجْرَةُ الْخَطِيئَةِ هِيَ الْمَوْتُ (رُومِيَّةٌ ٦: ٢٣).

بَعْدَ الطُّوفَانِ، أَعَادَ اللهُ التَّكْلِمَ عَنْ هَدْفِ جَنَّةِ عَدْنِ مَعَ نُوحٍ وَعَائِلَتِهِ: «أَثْمِرُوا وَكَثُرُوا.» كَانَتْ هَذِهِ فُرْصَةٌ ثَانِيَّةٌ لِلْعَمَلِ مِنْ جَدِيدٍ. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، تَمَرَّدَ

البشر. وبدلاً من أن يطيعوا الله وينشروا معرفته وحُكمه في كل مكان، أرادوا بناء برج حيث يمكن أن يأتي الله إليهم.

إخفاق من جديد. لم يكن الله ليسمح بهذا. فقام الله ببليلة السنة الأمم وأسلمهم إلى حُكم مجمه الإلهي. ثم قرَّر أن يبدأ من جديد مع عائلة بشرية جديدة - من خلال إبراهيم وسارة. وكانت خطته أن يسترد الأمم الأخرى - من خلال نسل إبراهيم - بمجرد إحياء حُكم ملكوته (تكوين ١٢: ٣).

وهذا أيضًا كان إخفاقًا. وبالتالي قامت المحاولة التالية على إخراج إسرائيل من أرض مصر، ثم الإتيان بهم إلى سيناء، ثم أخيرًا إلى أرض الموعد. وأخفق شعب إسرائيل. وفي النهاية أقام الله داود، ثم سليمان. لكن بعد موت سليمان، عبد شعب إسرائيل آلهة أخرى، وانقلب بنو إسرائيل بعضهم على بعض. فكان على الله أن ينفِيهم من أرض الموعد إلى السبي.

إن قصة البشر، بمعزل عن حضور الله، هي قصة إخفاق. وهذا لأن البشر ضالُّون وخطاة منذ السقوط. جميع البشر بهم عيوب ما وأجنيبون (منفصلون) عن الله. لا يمكن ائتمان أي قائد بشري على بدء ملكوت الله والحفاظ عليه. بل بات البشر يقاومون الولاء لله وحده، ويرغبون في الذهاب في طريقهم الخاص باستقلال عنه. وهم أيضًا يخطئون، وينضمون إلى سيد الأموات، عدو الله الأكبر. لكن لم يكن ممكنًا أن تتحقق رؤية الله التي تتضمن أن يشارك الله امتياز وجود ملوك وكلاء له على عدن جديدة من دون البشر. والوسيلة الوحيدة التي يمكن بها للبشر أن يكونوا يومًا قادرين على تنفيذ دورهم في حُطة الله هي أن يُجَدِّدوا. كان لا بد من أن تُرفع لعنة السقوط.

ولتحقيق ذلك، كانت لدى الله حُطة

الحل - ومشكلة

كان الله في حاجة إلى إنسان يكون أكثر من مجرد إنسان -شخصٍ يمكنه مقاومة التجربة، ويكون طائعًا دائمًا، شخصٍ مؤهل للملك، يستطيع إبطال لعنة الموت بأن يموت ثم يقوم من بين الأموات بقوته. كلُّ هذا يمكن أن يحدث بطريقة واحدة فقط: أن يصير الله نفسه إنسانًا. وبهذا يتم خطته، كإنسان، من أجل كل الجنس البشري، ويبعث جنة عدن من جديد. فقط حين ينال البشر الغفران، ويصيرون إلهيَّين كيسوع بقوة القيامة (أيوحنا ٣: ١-٣)، حينئذٍ يمكن لجنة عدن أن تكون واقعًا.

لكن كانت هناك مشكلة. إن اكتشفت حُطة أن الإنسان الذي هو الله قد جاء ليموت ويقوم من بين الأموات كي يضمن إحياء رؤية الله الأصلية، لم تكن قوات الظلمة لثُعجب بها.

وهذا هو بالتحديد ما قاله بولس في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس:

«بَلْ تَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ فِي سِرِّ: الْحِكْمَةِ الْمَكْتُومَةِ، الَّتِي سَبَقَ اللَّهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدُّهُورِ لِمَجْدِنَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمَهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ، لِأَنَّ لَوْ عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ.» (١ كورنثوس ٢: ٧-٨)

مَن هم الذين يتحدث عنهم بولس. إن كلمة "عظماء" [rulers] يمكن أن تشير إلى سلطات بشرية، مثل بونتيوس بيلاطس (بيلاطس البنطي) والقادة

اليهود، لكن كان بولس يقصد أيضاً قوات إلهية شيطانية (أفسس ٢: ٢). كان ينبغي الإبقاء على أعداء الله، بشرًا وآلهة، في جهلهم. فقد كان كل شيء يتوقف على موت وقيامه الله-الإنسان.

لكن كيف يمكنك أن تُبقي على ذلك سرًا؟

المسيا الخفي

إن الله-الإنسان، هذا الذي يتوقف عليه إحياء جنة عدن، كان هو، بالتأكيد، المسيا - يسوع الناصري. لكن هل أدهشك افتراضي بأن الخطة المسيانية كانت سرًا؟ ألا يمكننا ببساطة أن نقرأ العهد القديم ونرى الخطة كاملة؟ لا، لا يمكننا هذا.

صدّق هذا أو لا تصدقه، لا يوجد مقطع واحد في العهد القديم يستخدم كلمة مسيا للتعبير عن إنسان هو حقًا الله، وسموت عن خطايا البشر. وينطبق ذلك حتى على إشعياء، الذي رسم بقلمه صورة "العبد المتألم" (إشعياء ٥٣: ١١). لا تظهر كلمة مسيا قط في ذلك الأصحاح، ولا في أي موضع آخر في سفر إشعياء. فكلمة "عبد" تشير إلى الأمة الإسرائيلية، لا إلى مخلص واحد (إشعياء ٤١: ٨؛ ٤٤: ٢-١، ٢١؛ ٤٥: ٤؛ ٤٨: ٢٠؛ ٤٩: ٣). أما كلمة مسيا، أو مسيح [Messiah]، التي تعني "الممسوح" [anointed]، فكانت تشير تقريبًا دائمًا إلى داود فقط أو إلى واحد من نسله خلفه على العرش.

وفي الحقيقة، إن البرهان على ما أقول هو صعوبة أن نجد في العهد القديم ملفًا تعريفياً أو معلومات عن حياة مسيا إلهي سيموت ويقوم من بين الأموات، بينما هذا الملف التعريفي وهذه المعلومات واضحة في العهد الجديد.

فَكَرَّرَ فِي كَيْفِ كَانَتْ رَدَّةُ فِعْلِ التَّلَامِيذِ تَجَاهَ يَسُوعَ حِينَ أَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيَمُوتَ. لَقَدْ أَرَبَكَهُمُ الْإِعْلَانُ وَأَزْعَجَهُمْ (مَتَّى ١٧: ٢٢، ٢٣؛ مَرْقَسٌ ٩: ٣٠-٣٢). لَمْ يَجِيبُوهُ بِقَوْلِهِمْ: "نَعَمْ، صَحِيحٌ، لَقَدْ قَرَأْنَا هَذَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ"، بَلْ وَقَدْ وَبَّخَ بَطْرُسُ يَسُوعَ عَلَى قَوْلِهِ هَذَا (مَتَّى ١٦: ٢١-٢٣).

لَمْ يَكُنْ لَدَى التَّلَامِيذِ أَدْنَى وَعْيٍ، أَوْ مَعْرِفَةٍ، بِخُطَّةِ اللَّهِ الْجَدِيدَةِ هَذِهِ. فَقَدْ ظَنُّوا أَنَّ يَسُوعَ لَيْسَ سِوَى ابْنِ دَاوُدَ، وَالْوَرِثِ الشَّرْعِيِّ لِعَرْشِهِ. لَقَدْ ظَنُّوا شَخْصًا صَنَعَ آيَاتٍ مِثْلَمَا فَعَلَ أَنْبِيَاءُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ تَمَامًا.

وحتى بعد القيامة، كان يجب - بطريقة خارقة للطبيعة - أن تفتح أذهان التلاميذ كي يروا المسيح المتألم. فبعد قيامة يسوع من الأموات، ظهر لهم وقال:

"هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ. حَيْثُذِ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ (لُوقَا ٢٤: ٤٤، ٤٥)

لم تكن هذه "الخطئة الجديدة" التي وضعها الله - بأنه سيموت ثم يقوم ثانية ليبطل لعنة السقوط - ظاهرة على الإطلاق في العهد القديم. لكن في المقابل، توجد مفاتيح متناثرة عبر كل العهد القديم في عشرات المواضع. لم يحدث قط أن أعلنت الخطئة كاملة في موضع واحد. فإن الملف التعريفي بالمسيح لم يتضح إلا بعد وقوع الأحداث - بل حتى آنذاك لم يكن يتضح إلا لشخص يعلم مسبقًا ما يبحث عنه وما يتوقع أن يجده.

بالطبع علمت الكائنات العاقلة الفائقة للطبيعة أن ابن داود الذي أشارت إليه النبوات قد جاء (متى ٨: ٢٨-٢٩ ح لوقا ٤: ٣١-٣٥). كان ذلك هو القدر الذي

استطاعوا استيعابه من العهد القديم. لكن لم يعط شيء مما قالته الشياطين يومًا الانطباع بأنهم فهموا أن يسوع كان آتياً إلى الأرض ليموت ويقوم من بين الأموات، مبطلاً اللعنة.

كما قال بولس إنه لو علم هؤلاء وإبليس هذا، لما دفعوا شخصاً كيهودا إلى تسليم يسوع لمن أرادوا موته. إن الشيطان وحلفاؤه معه يتصفون بعدة صفات سيئة، لكنهم قطعاً ليسوا بلهاء. لقد خُدعوا ليقتلوا يسوع، تماماً كما خطط الله. وبهذا، أطلقوا إشارة البدء لسلسلة أحداث ستؤدي إلى نهايتهم. كان هذا تضليلاً بتخطيط إلهي.

أجزاء من الملف التعريفي

حين نرجع للوراء بعد وقوع الأحداث بالفعل، يمكننا أن نرى أجزاء من الملف المسياني بوضوح أكثر مما أمكن للتلاميذ رؤيته. وفي حين لا يوجد نص كتابي واحد يصف ابناً إلهياً مسيانياً لداود، يموت ويقوم من بين الأموات لإبطال اللعنة، إلا أن الخيوط التي تشير إلى هذا متواجدة عبر كل العهد القديم. وإذا أنك رأيت كيف نُفِّذت الخُطة، يمكنك أن تتناول خيطاً من هذه الخيوط، ومن ثم تبدأ في تتبُّع الأنماط المماثلة.

على سبيل المثال، أسأل: "من هو ابن الله؟" ليست الإجابة في العهد القديم هي "يسوع". كان آدم هو ابن الله – فقد كان هو الإنسان الأول. كما يدعى شعب إسرائيل أيضاً ابن الله (خروج ٤: ٢٣؛ هوشع ١١: ١). ودعي أيضاً ملك إسرائيل كذلك (مزمور ٢: ٧). أما في العهد الجديد، يسوع هو "آدم الأخير" و"ابن الله" (رومية ١: ٤؛ ١ كورنثوس ١٥: ٤٥؛ ٢ كورنثوس ١: ١٩؛ عبرانيين ٤: ٤).

وربما نسأل: "من هو عبد الله؟" عبد آدم الله (تكوين ٢: ١٥). ودُعي شعب إسرائيل أيضًا عبد الله (إشعياء ٤١: ٨؛ ٤٤: ١، ٢، ٢١؛ ٤٥: ٤؛ ٤٨: ٢٠؛ ٤٩: ٣). كما دُعي داود وملوك إسرائيليون آخرون من نسله عبيد الله (٢ صموئيل ٣: ١٨؛ مزمو ٨٩: ٣؛ ١ ملوك ٣: ٧؛ ٢ أخبار الأيام ٣٢: ١٦). وكان يسوع أيضًا هو عبد الله [فتاه] (أعمال ٣: ١٣؛ ٤: ٣٠؛ فيلبي ٢: ١-٨).

هل تألم أبناء الله وعبيد الله هؤلاء؟ هل انتهى وجودهم الأرضي في وقت ما؟ وهل تجدد ذلك الوجود؟ هل ينتظرهم مستقبلٌ في جنة عدن جديدة؟ الإجابات هي كلها نعم. فإن آدم، وإسرائيل، والملوك الداوديين جميعهم كانوا مطردوين خارج محضر الله - ذلك الموضع في الأرض حيث كان يسكن الله (جنة عدن وأرض الموعد). ومع ذلك فقد نال جميعهم الفداء، وسينالونه أيضًا في جنة عدن جديدة، كي يحيوا مع الله ومع يسوع المقام من بين الأموات.

الفكرة من هذا هو أن جميع هذه الشخصيات تشير إلى يسوع بشكل ما، وهو يُكمّل هذه الأنماط أو النماذج. هو الصورة الموحّدة التي تصبح منظورة حين تُكتشف جميع الأجزاء وتوضع في أماكنها الصحيحة. كان كل شيء تحت بصر الجميع، ومع ذلك كان غير قابل للاكتشاف إلا بإدراك متأخر، أي بعد حدوثه بالفعل.

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

إن الشر العاقل، أي إبليس، والشياطين، والآلهة الأدنى مرتبة الذين يحكمون الأمم، لا يعلمون كل شيء. فليس عندهم فكر الله، ولا يمكنهم اختراقه. نحن نميل إلى الافتراض أنه لأنهم خارقون فهم يعلمون كل شيء. ليس

هذا صحيحًا. لا يوجد سوى شخص واحد كلي العلم - وهو الله. وهو يقف في صفنا نحن.

بسبب السقوط، صار لإبليس حق شرعي فينا جميعًا. ماذا أعني بهذا؟ بسبب خطية آدم "اجْتَاَزَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ" (رومية ٥: ١٢). فقد لُعِنَت الحية، وطُرِحَت وصارت تتسلط على الهاوية - عالم الأموات السفلي، أو ما نشير إليه بالجحيم. وبسبب السقوط، قُدِّرَ للجميع الموت والذهابُ إلى الهاوية، عالم الأموات - حيث يملك الشيطان.

كل هذا تغيَّر حين جاء يسوع في مجيئه الأول، وتمَّ خُطَّة الله للخلاص بموته على الصليب، وقيامته من بين الأموات. كانت الخطوة الأولى لاسترداد أو إحياء جنة عدن هي إتاحة وسيلة يمكن بها للبشر أن ينجوا من لعنة الموت، حتى لا يعد كل من يؤمن، أي كل من جُعل من أهل بيت الله، وعضوًا في ملكوته، رهينة لدى لعنة الموت ومن له سلطان الموت. ولهذا، عند بداية خدمته لإعادة إحياء الملوكوت (لوقا ١٠: ١-٩)، قال يسوع: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنْ السَّمَاءِ" (لوقا ١٠: ١٨). كان يسوع يعلم أن موته وقيامته سيسددان دين الخاطيء، فلا يعد لإبليس أي حق شرعي في نفوسنا. كان الملوكوت هو بداية نهاية سيد الموت (من له سلطان الموت).

يجب مرة ثانية أن نتذكر من نحن، وما هو مصدر هويتنا. يُدعى المؤمنون، على نحو جماعي، بوصفهم الكنيسة، أي جسد المسيح. لقد قام جسد يسوع من بين الأموات. وهكذا سنقوم نحن لأنه هو قد قام (١ كورنثوس ١٥: ٢٠-٢٣). فهو البكر من بين الأموات. ونحن "كَنِيْسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ"

(عبرانيين ١٢: ٢٢-٢٤). كما قال يوحنا: "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يوحنا ١: ١٢). ليس لإبليس أي حق في أبناء الله لأنهم سيقومون من الموت. فما من سبب يدعو إلى البحث عن الحي في عالم الأموات.

ليس من عادة الله الكشف عن خطته لأحد – بشرًا كانوا أو آلهة، أوفياء أم خصوم. كان يتحتم أن تظل تفاصيل كيفية تتميم المسيا لمقاصد الله خفية. لكن الله سيسمح لهم بأن يعلموا دون شك، أنه المسيا حين يأتي، سيكون الله في جسد بشري، وأن استرداد ملكوت عدن سيكون هو آخر مرحلة في اللعبة. وكما سنرى في الفصلين التاليين، كانت هذه المعلومات كافية لتحريك الإيمان في قلوب البشر، ولإغراء قوات الظلمة حتى يبلعوا الطعم ويبدءوا عملية تدمير أنفسهم.

الفصل الحادي عشر

هدفُ خارقٌ للطبيعة

رأينا في الفصل السابق كيف قدّم العهد القديم المسيا محفياً تحت بصر الجميع. كان مفتاح حُطة الله لإحياء جنة عدن، وفداء البشرية، هو أن يموت المسيا، يسوع، على الصليب، ثم يقوم من بين الأموات.

لم يكن ممكناً أن يوفّر الله ملكاً بشري من نسل داود، يحكم شعبه دون أن يسقط في الخطية، ودون أن يضل روحياً، إلا بأن يصير الله إنساناً. فقط إن مات ذلك الملك بديلاً عن شعبه، وقام من بين الأموات، سيتسنى لله أن يدين الخطية بعدل، وأيضاً يعطي الخلاص في الوقت ذاته. فقط بموت المسيا وقيامته، يمكن أن يوجد مكان للبشر الساقطين في مجمع عائلة الله، ليملكوا في ذلك الملكوت العديني المجدّد، وفقاً للخُطة الأصلية.

لكن فِكرٍ معي في كل ما كان يقتضيه هذا: كان على يسوع بطريقة ما أن يحرص على أن تؤثر قوات الظلمة الفائقة للطبيعة في البشري يقتلوه - دون أن يعلموا فعلياً ما يفعلونه. ويتوافق هذا مع ما قاله بولس لأهل كورنثوس (1 كورنثوس ٢: ٦-٨)، إنهم لو علموا النتائج المترتبة على هذا، لما أقدموا البتة على صلب الرب.

من الممكن أن تبدو حياة يسوع وخدمته أكثر منطقية حين يُنظر إليها
قُبالة تلك الخلفية. على سبيل المثال، يسهل على قارئ العهد الجديد أن يتولد لديهم
انطباع بأن خدمة يسوع التي قادت إلى الصليب كانت بصورة ما عشوائية. ففي
النهاية، لا تسرد الأناجيل دائماً الأحداث نفسها - على سبيل المثال، لا يرد ميلاد
يسوع سوى في إنجيلين (متى ولوقا)، وواحد منهما فقط هو الذي يذكر المجوس
(متى ٢). وأحياناً تظهر مشاهد في ترتيبٍ يختلف اختلافاً طفيفاً بين إنجيل وآخر.
إلا أن أعمال يسوع تلك التي دُوّنت في الأناجيل، والتي تسبق صلّبه: شفاء
المرضى، والكراسة بملكوت الله، والغفران للخطاة، ومواجهة الرياء، كانت أكثر
من مجرد أعمال عشوائية صدرت من رجل حكيم متجول، كان من آن لآخر
يجترح معجزات. يوجد ما يجري في قصص الأناجيل أكثر مما تقع عليه العين
المجردة. يوجد سيناريو ضمني لما كان يسوع يعمل.

التفوق على الشرير في الحيلة والدهاء

إن الحدث الذي ميّز بداية خدمة يسوع العلنية هو معموديته. هناك عيّن
الله علناً هوية يسوع بكونه ابنه (مرقس ١: ١١)، وهناك عرّفه يوحنا المعمدان
بأنه هو من "يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١: ٢٩). حين نقرأ تلك الكلمات بضم يوحنا،
نفكر في الحال في الصלב. لكن لم يكن تلاميذ يوحنا يفكرون في هذا.
وبصراحة شديدة، لا أحد كان يفكر في الصלב. قرب نهاية خدمته، بعد ما يزيد
على ثلاث سنوات من معموديته، حين ابتداء يسوع يتحدث عن موته، رفض
تلاميذه أنفسهم الفكرة (متى ١٧: ٢٢-٢٣؛ مرقس ٩: ٣٠-٣٢). كان آخر شيء
يتوقعونه هو أن يسمعو من ربّهم أنه سيموت قريباً. كان هذا كلاماً جنونياً. لم
يفهموا أن موت يسوع على الصليب كان هو الخطّة من البداية. لماذا لم يفهموا؟

لأن هذه الخُطة، كما تحدثنا في الفصل السابق، لم تكن معلنة في العهد القديم بصراحة ووضوح.

بعد المعمودية يسوع، اقتاده الروح إلى البرية ليواجه إبليس (متى ٤: ١؛ مرقس ١: ١٢؛ لوقا ٤: ١-١٣). ويخبرنا مجيء الشيطان كي يجرب يسوع بأن إبليس كان يعلم من هو— هو المسيا الآتي في مهمة إعادة تأسيس "حكم الله" على الأرض. ففي النهاية، من المنتظر أن يكون "المسوح" (المسيا) ملكاً من نسل داود. وقد كان إبليس "رئيس هذا العالم" (يوحنا ١٢: ٣١) مدرّكاً أن يسوع سيستهدف نطاق سيادة إبليس — أي الأمم التي نبذها الله إبان حادثة برج بابل قبل أن يؤسس إسرائيل (تثنية ٤: ١٩-٢٠؛ ٣٢: ٨-٩).

يتذكر معظمنا المشهد الذي دار بين يسوع وإبليس، فقد جرب إبليس يسوع ثلاث مرات (متى ٤: ٣-١١). وكانت استراتيجية إبليس الثالثة لدفع يسوع إلى انتهاك علاقته بالله هي أن يقدم لابن الله أمم العالم ومملكه (متى ٤: ٨-٩)، الشيء نفسه الذي يُفترض أن يسوع قد جاء ليسترده:

"ثُمَّ أَخَذَهُ أَيضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جَدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ حَرَزْتَ وَسَجَدْتَ لِي»" (متى ٤: ٨-٩)

كان عرض إبليس بمثابة محاولة بارعة لتغيير الخُطة الله. ومن المفترض أن يؤدي إلى النتيجة التي كان يرغب الله فيها — أي استرداد الأمم التي رفضها وحرّمها من أن تكون شعبه. وبهذا تكون المهمة قد تمت بنجاح. وكل ما كان على يسوع أن يعمل هو أن يسجد لإبليس بدلاً من الله.

يكشف عرض إبليس أنه بعد لم يدرك أن حُطة الله تقتضي موت يسوع. كما لم ينذره يسوع بهذا أيضًا. لم يفسر له أسباب رفضه. بل فقط قال لإبليس أن يَغْرَبَ عن وجهه. الله سيسترد ما كان له متى وكيفما أراد. لم تتعلق مهمة يسوع فقط بحكم جميع الأمم، بل كانت تتعلق بإعادة بناء عائلة. وكان ضم أناس من جميع الأمم إلى تلك العائلة، لا من إسرائيل وحدها، يعني أن الخطية لا بد أن يُكفَّر عنها. وكما خطط الله من البداية، كان حكم الله سيشمل أبناءه. وكان الصليب ضروريًا لفداء البشرية، وبالتالي وضع حُطة الله موضع التنفيذ. لم يكن يسوع سيقع في الخداع – بل كان هذا سيحدث للشيطان، في الوقت المعين.

لمحة من عدن

بعد التجربة في البرية مباشرة، فعل يسوع شيئين: دعا تلاميذه الأوائل (بطرس، وأندراوس، ويعقوب، ويوحنا)، وشفى رجلاً به روح نجس (مرقس ١: ١٦-٢٨؛ لوقا ٤: ٣١ - ٥: ١١). استمر كل من دعوة التلاميذ والشفاء، وشكلاً بداية نمط ما. فيما دعا يسوع المزيد من التلاميذ، أعطاهم سلطانًا ليخرجوا شياطين، ويشفوا الناس من كل مرض، وإعاقة، وكل حالة ضعف (لوقا ٩: ١-٥).

دعا يسوع في البداية اثني عشر تلميذًا. لم يرد هذا العدد بمحض الصدفة، بل هو مرتبط بأسباط إسرائيل الاثني عشر. بدأ يسوع حُطة الملكوت واضعًا إسرائيل نصب عينيه. فإنهم، في النهاية، قِسْمُ الله، والمختارين من بين جميع الأمم الأخرى (تثنية ٣٢: ٨-٩). وسيرى بولس لاحقًا انتشار الإنجيل على النحو ذاته، حيث يبدأ من اليهود، ثم يذهب إلى الأمم (رومية ١: ١٦-١٧).

لم يتوقف يسوع عند الاثني عشر تلميذًا. ففي لوقا ١٠ كُلف سبعين آخرين بشفاء أمراض وإخراج شياطين (لوقا ١٠: ١، ٩، ١٧). أيضًا لم يكن هذا العدد عشوائيًا؛ بل هو عدد الأمم المذكورة في تكوين ١٠ – تلك الأمم التي نَبَذها الله إبان حادثة برج بابل، ووضعها تحت سيادة الآلهة الأدنى (تثنية ٤: ١٩، ٢٠؛ ٣٢: ٨، ٩). تحتوي بعض الترجمات لهذه الآيات على عدد اثنين وسبعين، بدلًا من سبعين. وهذا لأن بعض المخطوطات القديمة للعهد القديم تعرض أسماء الأمم في تكوين ١٠ بشكل يجعل من مجموعها اثنين وسبعين. وفي كلتا الحالتين، الفكرة واحدة – إرسال هؤلاء الرجال مرتبط بعدد الأمم في تكوين ١٠. وكما كانت دعوة الاثني عشر إشارة إلى مجيء الملكوت إلى إسرائيل، هكذا كان إرسال السبعين يشير إلى أن الملكوت سوف يسترد الأمم.

حين رجع السبعون (لوقا ١٠: ١٧)، كان جواب يسوع لهم كالتالي: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ" (لوقا ١٠: ١٨). كان مغزى الرسالة دراماتيكي مثيرًا: هناك انقلاب عظيم يجري تنفيذه. لن يعود لإبليس أي حق شرعي في البشر بمجرد انتمائهم ليسوع. وقد انتهت إمكانية دخوله إلى حضرة الله كي "يشتكى على المؤمنين" (رؤيا ١٢: ١٠). فقد صار مُدْعيًا دون قضية.

تعال وتل مني

بعد ثلاث سنوات من الكرازة بملكوت الله الآتي، وإظهار محبة الله للناس، وشرح ما ستبدو عليه الحياة في عالم "عَدَنِي"، بدأ يسوع يستعد للنهاية – للغرض الحقيقي الذي جاء من أجله.

وقبل الرحلة التي من المنتظر أن تكون الأخيرة إلى أورشليم، أخذ يسوع تلاميذه إلى أقصى شمال إسرائيل. كان يسوع يريد تحفيز عملية الصلب. ولم يكن من الممكن أن ينتقي مكانًا يواجه فيه القوات الحارقة للطبيعة أفضل من هذا.

أتى يسوع بالتلاميذ إلى موضع يُدعى قيصرية فيلبس. كان هذا هو الاسم الروماني للموضع. لكن في أزمنة العهد القديم، كانت المنطقة تدعى باشان. وقد تحدثنا عنها فيما سبق، في الفصل التاسع. كانت باشان تُعتبر بوابة الدخول إلى الهاوية (عالم الأموات) - أبواب الجحيم. وتقع قيصرية فيلبس في سفح جبل حرمون، المكان الذي، بحسب الفكر اليهودي، جاء إليه بنو الله إلى الأرض في التمرد المذكور في تكوين 6: 1-4. باختصار، كانت باشان وحرمون في أزمنة العهد القديم نقطة الانطلاق لقوى الشر الكونية.

في هذا الموضع طرَح يسوع سؤاله الشهير: "مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟" (متى 16: 15). فَأَجَابَ سَمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!» (عدد 16). فامتدحه يسوع ثم أضاف:

"طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، إِنَّ حَكْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كُنَيْسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا (ع. 17-18).

ثار جدل كبير لقرون عديدة، حول ماهية "الصخرة" التي أشار إليها يسوع. ويكمن مفتاح فهم الكلمة في جغرافية المنطقة. تقع قيصرية فيلبس في أقصى شمال منطقة باشان. وفي أزمنة العهد القديم، جرى الاعتقاد بأن هذه المنطقة

تحوي بوابات تؤدي إلى الهاوية أو عالم الأموات. وتقع قيصرية فيلبس عند سفح جبل. و"الصخرة" هي ذلك الجبل. و"أبواب الجحيم" تمثل الموضع نفسه حيث كان يسوع وتلاميذه واقفين.

كان يسوع يتحدى قوات الظلمة. فبالسقوط، فقدت البشرية الحياة الأبدية مع الله، وحصلت في المقابل على مصير الموت والانفصال الأبدي عن الله. وصار لسيد الموت، الحية المعروفة باسم إبليس والشيطان - حق شرعي في البشر. وكان المصير المحتوم لكل إنسان أن ينضم إليه في عالم الأموات، الهاوية. لكن الله كان عنده أفكاراً أخرى. ستكون الخطة السرية التي تستلزم إرسال يسوع لتسديد عقوبة خطايا البشر أن تشكل هجوماً مباشراً على أبواب الجحيم. ولن يتمكن سيد الأموات وقواته من الصمود أمام ملكوت الله. ففي جوهر الأمر، كان يسوع في ذلك النص (متى ١٦) يقف أمام بوابات الشيطان الأمامية، ويطعن في ادعاءاته. أراد يسوع أن يستفز إبليس. لماذا؟ لأنه كان الوقت قد حان كي يموت يسوع ليستحث خطة الله السرية إلى التنفيذ.

وكان هذا الطعن الشفاهي لم يكن كافياً، اتخذ يسوع خطوة هجومية أخرى. يتفق كل من إنجيل متى، ومرقس، ولوقا على أن الحدث التالي في خدمة يسوع هو حدث التجلي. نقرأ في مرقس ٩: ٢-٨ التالي:

"وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعَدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ وَحَدَهُمْ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ فِدَامَهُمْ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيَضَاءً جِدًّا، كَالثَلْجِ، لَا يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ لَهُمْ إِبِلْيَا مَعَ مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ. فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدِي، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ

هَهُنَا. فَلَتَصْنَعُ ثَلَاثَ مَظَالٍ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلِإِيلِيَّا وَاحِدَةً». لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِذْ كَانُوا مُرْتَعِبِينَ. وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ صَوْتُ مِنْ السَّحَابَةِ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا». فَانظَرُوا حَوْلَهُمْ بَعْتَةً وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا غَيْرَ يَسُوعَ وَحْدَهُ مَعَهُمْ».

وقعت حادثة التجلي فوق جبل حرمون. وقد انتقى يسوع هذا الموضع بالتحديد كي يكشف لبطرس، ويعقوب، ويوحنا عن من هو بدقة - مجد الله المتجسد. كان بهذا يُعلم إبليس وقوات الظلمة بالآتي: لقد أتيت إلى الأرض كي أسترجع ما لي. قد اقترب ملكوت الله. وفي واقع الأمر: "أنا هنا؛ والآن افعلوا شيئاً لتمدوني".

ليس من قبيل الصدفة أن يتجه يسوع بعد حادثة التجلي مباشرة نحو أورشليم، ويبدأ في إخبار تلاميذه بأنه سيموت هناك. لم يرغبوا في سماع هذا. لكن كان يسوع قد استدرك إبليس وبقية القوات الشيطانية إلى القيام بردة فعل. وبات التخلص منه بأقصى سرعة ضرورة مُلحة لديهم، وهو ما أراده يسوع تماماً. كان موته مفتاح تحقيق كل شيء.

لمذا يعد هذا مهماً؟

إن خدمة يسوع كانت مقصودة. وكان يملك رؤية واضحة عن دوره في إحياء ملكوت الله على الأرض، ليتقدم الملكوت إلى يوم مجيئه الثاني، ذلك اليوم الذي سيكون إشارة البداية لعدن كونية، أي ليوطوبيا مثالية تشمل العالم كله.

ليست حياتنا محورية كحياة يسوع، إلا أن كل واحد منا، كما التلاميذ أيضاً، له دور حقيقي عليه أن يقوم به. يجب أن نسلك مؤمنين بذلك. إن المؤمنين

الذي يُحْضَرُونَ إلى مجمع عائلة الله، يُحْضَرُونَ لا ليكونوا متفرجين بل مشاركين (كولوسِّي ١: ١٣).

ومن بين مقاصد يسوع هي أن يُظهر للبشر كيف كان شكل جنة عدن، وكيف سيكون شكل الحياة مع الله. في عائلة الله، وتحت حكم الله، لن يوجد مرض أو عيب جسدي. كما لن توجد قوى معادية. إن ملكوت الله النهائي أكبر وأعظم من مجرد جنة، وأوسع من إسرائيل. سيكون الملكوت كونياً. وسيشمل جميع الأمم. وسيكون كجنة عدن في كل شيء - سماءً على الأرض.

وتقتضي مُهمتنا أن نفتدي بيسوع. يمكننا، نظيره، أن نرعى نفوس وأجساد حملة صورة الله الآخرين، ونقودهم إلى الإيمان بالملك، ونشدّد عزيمتهم أن يكونوا أوفياء له. لا يتطلب الأمر بالضرورة للمرء أن يتحلى بقوة خارقة حتى "يُعْصَبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ" و"يُنَادِي لِّلْمَسْبِيَّيْنَ بِالْعِتْقِ" أسوة بالمسيا (إشعياء ٦١: ١)، لكن هذه الأعمال في جوهرها أعمال خارقة للطبيعة. فهي تقتضي مقاومة الظلمة، ورؤية استراتيجية. لن يفشل الروح القدس في أن يستخدم أي عمل من أعمال اللطف والإحسان ليرشد قلب شخص ما. وما من كرازة برسالة الإنجيل ستكون بلا ثمر. لقد كان تحن يسوع متسقاً مع رسالته. لم ينتقص أحدهما من قدر الآخر. وهذا نمطٌ يمكن لأي مؤمن أن يقتدي به - وهذه هي المهام الوظيفية لتنفيذ رؤية الملكوت.

وأخيراً، لتذكر مجدداً أن الكائنات الشريرة العاقلة ليست له محدودياتها فحسب، بل هي أيضاً غير حصينة أمام رؤية الملكوت وعمله. إن يسوع الآن جالس "في يَمِينِ اللَّهِ ... وَمَلَائِكَةُ وَسَلَاطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ لَهُ" (١ بطرس ٣: ٢٢).

نحن نملك مع يسوع "الآن ولكن ليس بعد" [already but not yet] (كولوسي ٣: ١؛ ٢ تيموثاوس ٢: ١٢؛ رؤيا يوحنا ٢: ٢٦؛ ٣: ٢١). ولن تصمد أبواب الجحيم أمام تَقَدُّم الكنيسة واكتمالها بوصفها ملكوت الله على الأرض. ويرجع لنا نحن قرارُ الاشتراك في هذا الانقلاب العظيم.

الفصل الثاني عشر

الراكبُ سُحْبِ السَّمَاءِ

ختمت الفصل السابق بأن ذكرت كيف بدأ يسوع يتحدث عن موته فور استدراجه وتحديه لقوات الظلمة عند أبواب الجحيم وجبل حرمون. أثار هذا التحدي سلسلة من الأحداث ستؤدي إلى محاكمة الرب وموته على الصليب. قرأ المؤمنون عن محاكمة يسوع مرات عديدة. لكن توجد خلفية لهذه المحاكمة خاصة بالعالم الفائق للطبيعة عادة ما يتم إغفالها.

لكي نفهم ما حرّض في النهاية على صدور حكم الموت من فم السلطات اليهودية، ثم إرسال يسوع إلى بونتايوس بيلاطس (بيلاطس البنطي) لتنفيذ الحكم، علينا أن نرجع إلى سفر دانيال في العهد القديم - إلى اجتماع عقده الله مع جنده السماوي، أي مجمه الإلهي.

القديمُ الأيامُ ومجمعه

يبدأ الأصحاح السابع من سفر دانيال برؤيا عجيبة وغير معتادة. رأى دانيال أربعة حيوانات خارجة من البحر (دانيال ٧: ١-٨)، جميعها غريبة، لكن الحيوان الرابع كان هو الأسوأ. في الأحلام التي كانت تُفسّر، في العهد القديم، كان كل من الأشياء، والكائنات الحية دائماً ما تمثل شيئاً. وفي هذا الحلم، كانت الحيوانات الأربعة في رؤيا دانيال هي أربعة ممالك. نعلم هذا لأن رؤيا دانيال

متماشية مع موضوعات حلم نُبُوخَذَنْصَر في دانيال ٢، والذي كان عن بابل، وثلاث ممالك أخرى تليها. ولكن سيكون تركيزنا هنا على ما يصفه دانيال بعد هذه الرؤيا:

"كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ، وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الْأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَيْبُضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ التَّيِّبِ، وَعَرْشُهُ لَهَيْبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقَدَةٌ. نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَامِهِ. أُلُوفٌ أُلُوفٍ تَخْدُمُهُ، وَرَبَوَاتٌ رَبَوَاتٍ وَقُوفٌ قُدَامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الْأَسْفَارُ (دانيال ٧: ٩-١٠)

نَعْلَمُ أَنَّ الْقَدِيمَ الْأَيَّامِ هُوَ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ. يَسْهَلُ لِلغَايَةِ مَعْرِفَةَ هَذَا، وَخَاصَّةً حِينَ نَقَارِنُ أَوْصَافَ عَرْشِهِ بِرُؤْيَا حَزَقِيَالٍ لِعَرْشِ اللَّهِ (حزقيال ١). إِنَّ النَّارَ، وَالبَكَرَاتِ، وَهَيْئَةَ الْإِنْسَانِ الْجَالِسِ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي تِلْكَ الرُّؤْيَا كَانَتْ هِيَ نَفْسَهَا الَّتِي فِي رُؤْيَا دَانِيَالٍ.

لكن هل لاحظت أنه لم يكن هناك عرش واحد فقط؟ في رؤيا دانيال كان هناك عدد من العروش (دانيال ٧: ٩) - تكفي للدِّين (ساحة القضاء) الإلهي [divine court]، أي مجمع الله (دانيال ٧: ١٠).

اجتمع المجلس السماوي في الرؤيا لتقرير مصير الحيوانات - أي الممالك. وتقرَّرَ وجوب قتل الحيوان الرابع، ونزع السلطان عن الحيوانات الأخرى (دانيال ٧: ١١-١٢). ثم أن يحل محلهم ملكٌ ومملكة آخريين. وهنا بدأت الأحداث تزداد إثارة.

ابن الإنسان الآتي على السُّحْبِ

يتابع دانيال رواية رؤياه:

"كُنْتُ أَرَى فِي رُؤْيِ اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحْبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ آتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْأَيَّامِ، فَتَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأَعْطَيْ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكَوْتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانُ أَبَدِيٍّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكَوْتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ" (دانيال ٧: ١٣-١٤)

تُستخدم عبارة "ابن الإنسان" عدة مرات في العهد القديم. ويجب ألا يدهشنا أنها تشير إلى إنسان. لكن المدهش هو الوصف الآخر الذي ورد عن هذا الإنسان في هذا النص. يصف دانيال ٧: ١٣ إنسانًا آتيًا مَعَ سُحْبِ السَّمَاءِ ليقف أمام القديم الأيام.

لماذا يشكل هذا أهمية كبيرة؟ لأن جميع المواضع الأخرى في العهد القديم التي ورد فيها ذلك الوصف [المترجم: أي الركوب على سحب السماء]، كانت للإشارة فقط إلى الله نفسه (إشعيا ١٩: ١؛ تثنية ٣٣: ٢٦؛ مزمور ٦٨: ٣٢-٣٣؛ مزمور ١٠٤: ١-٤). لكن في دانيال ٧، كان الله موجودًا في المشهد بالفعل بوصفه القديم الأيام. وهكذا، كان دانيال، في رؤياه، يرى "إلهًا ثانيًا" الذي هو إنسان أيضًا - وهذا شبيه بإيمان المسيحيين بالله بوصفه أكثر من أقنوم (شخص) واحد. هذه هي الفكرة بالتحديد.

فيما كان يسوع واقفًا أمام قيافا في أثناء محاكمته في متى ٢٦، وكانت حياته على المحك، أثار غضب الجميع باستشهاده بهذه الفكرة:

"وَكَانَ رُؤْسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَالْمَجْمَعُ كُلُّهُ يَطْلُبُونَ شَهَادَةَ زُورٍ عَلَى يَسُوعَ لِكَيْ يَقْتُلُوهُ، فَلَمْ يَجِدُوا. وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ شُهُودٌ زُورٌ كَثِيرُونَ، لَمْ يَجِدُوا. وَلَكِنْ أَحْيَرًا تَقَدَّمَ شَاهِدًا زُورٍ وَقَالَ: «هَذَا قَالَ: إِنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَنْقُضَ هَيْكَلَ اللَّهِ، وَفِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

أَبْنِيهِ». فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَذَانِ عَلَيْكَ؟» وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الْآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حَبِثًا ثِيَابَهُ قَائِلًا: «قَدْ جَدَفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدَ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ! مَاذَا تَرَوْنَ؟» فَأَجَابُوا وَقَالُوا: «إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ!» (متى ٢٦: ٥٩-٦٦).

فيما يبدو أنه جواب عبثي عشوائي عن سؤال واضح، اقتبس يسوع من دانيال ٧: ١٣ للجواب عن سؤال قيافا. أتريد يا قيافا أن تعلم حقًا من أنا؟ استمع جيدًا. وكانت ردة الفعل فورية. فهِمَّ قيافا في لحظتها أن يسوع كان يُصْرِّح بأنه هو شخصية الإله الثاني في دانيال ٧: ١٣ - أي الإنسان الذي وُصف بأوصاف الله وحده في العهد القديم. كان يُصْرِّح بأنه هو الله في صورة إنسان. وكان هذا تجديفًا - وباعثًا قويًا لإصدار حكم بالموت.

لكن يسوع علم بالطبع هذا. ولم يكن مهتمًا على الإطلاق بحماية نفسه. فقد كان يعلم أنه لا بد أن يموت كي يسترد ملكوت الله، ويضم المؤمنين إلى عائلة الله، ويسترد حقه الشرعي في الأمم من يد الرياسات والسلطين الشريرة التي سيطرت على الأمم التي رفضها الله وقت حادثة برج بابل.

وقد مات بالفعل. ويقدم لنا المزمور الثاني والعشرون، الذي اشتهر بوصفه للتأثيرات الجسدية للصلب من خلال كلمات داود، لمحة من الأهوال غير المنظورة التي قاساها يسوع على الصليب. كان كاتب المزمور المتألم يئن قائلاً:

"كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي.
يَفْعَرُونَ الشِّفَاءَ، وَيُنْغِضُونَ الرَّأْسَ
قَائِلِينَ: «اتَّكَلْ عَلَى الرَّبِّ فَلْيَتَّجِهْ،
لِيُنْقِذَهُ لِأَنَّهُ سَرَّ بِهِ» ...

أَحَاطْتُ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ.
أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ اِكْتَنَفْتَنِي.
فَعَرُّوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزْمَجِرٍ.
كَالْمَاءِ اِنْسَكَبْتُ.

انْفَصَلْتُ كُلَّ عِظَامِي" (مزمور ٢٢: ٧-١٤)

الجزء المخيف في هذا الوصف لآلام المسيح هو ثيرانٌ بَاشَانَ القوية. وكما ذكرنا قبلاً، كانت باشان، في أزمنة العهد القديم، قاعدة انطلاق الآلهة الشيطانية، وموضع الهاوية [عالم الأموات]. كانت المنطقة مركز رئيسياً لعبادة البعل، المرموز له بالثيران والأبقار. وبالتالي، كانت عبارة "ثيرانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ" إشارة إلى الشياطين، وقوات الظلمة. في الوقت الحاضر، قام سي. إس. لويس برسم الصورة بكل غرابتها وبكل ما تثيره من نفور في روايته "The Lion, the Witch, and the Wardrobe" [الأسد والساحرة وخزانة الملابس]. لا أحد قرأ هذا الكتاب أو شاهد الفيلم يستطيع نسيان كيف قدّم "أصلان" حياته في اتضاع فوق المائدة الحجرية لجماعة أتباع الساحرة البيضاء المبتهجين.

وكما هزم يسوع إبليس وَفَاقَهُ دِهَاءً، هكذا أيضًا خَدَعَ أَصْلَانِ السَّاحِرَةِ
البيضاء وأظْهَرَ حُكْمَهَا. وما اعتبرها الشيطان عن خطأ لحظة انتصار، اتَّضَحَ أَنَّهَا
هزيمته التي لا رجعة فيها.

إِنَّكُمْ آلِهَةٌ ... لَكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ

لم يكن فقدان إبليس لحقه الشرعي في حياة أبناء آدم هو الخسارة
الوحيدة التي لحقت به عند الصليب. بل إن جماعته المتمردة، آلهة الأمم في العالم
الخارق للطبيعة (إلوهيم)، سيشهدون بداية تلاشي نطاق سلطاتهم.

فقد تعيَّن الآلهة الفائقون للطبيعة لحكم تلك الأمم من قبل العلي، إله
إسرائيل (تثنية ٤: ١٩-٢٠؛ ٣٢: ٨-٩). ولا نعلم متى صارت الأمم أعداء لله، لكن
هذا ما حدث. لقد حولت هذه الآلهة شعب الله، إسرائيل، عن عبادته إلى تقديم
ذبائح لهم (تثنية ١٧: ١-٣؛ ٢٩: ٢٦-٢٧؛ ٣٢: ١٧). ويخبرنا المزمور الثاني والثمانون،
الذي تناولناه في الفصل الثاني لتعريف المجمع الإلهي، بأن هؤلاء الإلوهيم أساءوا
استخدام سلطانهم، وكافأوا الشر. لم يكثرثوا أدنى اكتراث لنا موسى الله أو عدله:

"اللَّهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللَّهِ.

فِي وَسْطِ الْآلِهَةِ (الْوَهِيمِ) يَقْضِي:

«حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْرًا

وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الْأَشْرَارِ؟

أَقْضُوا لِلدَّلِيلِ وَلِلْيَتِيمِ. أَنْصِفُوا الْمَسْكِينِ وَالْبَائِسِ.

نَجِّوا الْمَسْكِينِ وَالْفَقِيرِ. مِنْ يَدِ الْأَشْرَارِ أَنْقِدُوا.

«لَا يَعْلَمُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ. فِي الظُّلْمَةِ يَتَمَشَّوْنَ»^٦

تَتَزَعَّزَعُ كُلُّ أُنْسِ الْأَرْضِ

(مزمور ٨٢: ١-٥)

تخبرنا بقية المزمور بأن الله دعا إلى اجتماع المجمع السماوي هذا ليخبر الآلهة بأنه مستقبل بائس في انتظارهم. سينتهي حكمهم المروع حين يقرر الله أن يسترد الأمم:

«أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ

وَبَنُو الْعَالِيِّ كُلُّكُمْ.

لَكِنْ مِثْلَ النَّاسِ تَمُوتُونَ وَكَأَحَدِ الرَّؤَسَاءِ تَسْقُطُونَ.

قُمْ يَا اللَّهُ. دِينَ الْأَرْضِ،

لَأَنَّكَ أَنْتَ تَمْتَلِكُ كُلَّ الْأُمَمِ» (مزمور ٨٢: ٦-٨)

ومتى سيقدر الله استرداد الأمم؟ قرأنا الإجابة من قبل في دانيال ٧: ١٤

«فَأَعْطِي سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ.

سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ

^٦ «أنتم لا تعرفون شيئاً ولا تفهمون شيئاً، بل تسيرون في الظلام بينما تنهار أساسات

الدنيا. (ترجمة ASB)

أنتم فاسدون تمامًا، والعدل قد زال من الدنيا.»

كانت رسالة دانيال ٧: ١٣-١٤ واضحة - حين يأخذ ابن الإنسان الملكوت، ستكون هذه بداية نهاية قوات الظلمة الفائقة للطبيعة. وقد أخذ يسوع هذا الملكوت في قيامته. فإن الله "أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات، (المسيح يحكم هناك) فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المُستقبل أيضًا" (أفسس ١: ٢٠-٢١).

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

قبل الصليب، كان لإبليس حقٌ أبديٌّ في نفوسنا. إن كلَّ البشر يموتون؛ وهكذا يذهبون إلى الهاوية، أي إلى عالم الأموات، الذي هو نطاق سلطانه. وهناك كان من المفترض أن نبقى - لولا ذبيحة يسوع وقيامته. وبالإيمان بعمله على الصليب، أقمنا معه. وكما رأينا في الفصل السابق، طُرح إبليس خارج محضر الله حين بدأ الملكوت على الأرض (لوقا ١٠: ١٨). وحينها لا يعود الله يتلقى المزيد من شكاياته على المؤمنين، إذ لن يعد له بعد أي حق في نفوسنا.

لماذا إذًا نسلُكُ الآن، وكأن هذا الحق ما زال له؟

لا يُكتسب الخلاص بالكمال الأخلاقي. بل هو عطية بالنعمة، بالإيمان (أفسس ٢: ٨-٩). وهذا بدوره يعني أن الخلاص لا يمكن أن يُفقد بسبب قصور أو عيب أخلاقي. فما لا يُؤخذ البتة بجودة الأداء، لا يمكن أن يُفقد البتة بضعف الأداء. يتعلق الخلاص بولاء مبني على الإيمان - أي بالثقة فيما عمله يسوع كي يهزم ادعاء إبليس، وبالابتعاد عن جميع الآلهة الأخرى، وعن النظم الإيمانية التي يشكلون جزءًا منها.

تلك رسالة ملكوتِ الله، التي نحن مكلفون بأن نخبر الأمم بها (متى ٢٨):
١٩-٢٠). وفيما نطيع هذا التكليف، تتقلص سيادة الآلهة الأعداء، أي الرياضات
والقوات، نفسًا فنفس، ولحظة بلحظة. ولا تقوى أبواب المجيم، أي الهاوية أو
عالم الأموات، على القيامة، ولن تقوى على تقدُّم الإنجيل.

ومع ذلك، ففي وقت صلب يسوع، لا شيء من هذا بدا حقيقيًا في أعين
التلاميذ. لكنهم كانوا قريبًا سيفهمون الرسالة على نحو مثير، ولا يُنسى.

الفصل الثالث عشر

الانقلاب العظيم

إلى جانب القصص المدوّنة عن يسوع في الأناجيل - كروايات ميلاده، وموته، والعظة على الجبل - لعل أكثر النصوص المعروفة في العهد الجديد هو نص الأوصاح الثاني من سفر أعمال الرسل، حيث هبّ الروح القدس بقوة على أتباع يسوع في يوم الخمسين. ويميّز هذا اليوم بداية الكنيسة الوليدة، وبداية الكرازة لكل العالم باسم يسوع.

بقدر كون هذا النص مألوفًا، لكن يوجد به الكثير من الأحداث أكثر مما يدرك الغالبية. فإن أعمال ٢ مصمم في حقيقة الأمر كي يعلن عن بدء حملة قلب الجغرافيا الكونية للعهد القديم لما بعد حادثة برج بابل، حيث كانت الأمم عدا إسرائيل خاضعة لسيادة آلهة أدنى. ما حدث في يوم الخمسين كان حُطة حرية لاجتياح جميع الأمم التي نبذها الله في بابل بواسطة إنجيل يسوع - وهي استراتيجية قديمة للحرب الروحية.

يوم الخمسين

ما وصف أعمال ٢ حدوثه في يوم الخمسين هو قطعًا أمر غير اعتيادي:

"وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخُمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَعْثَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتُ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ،

وَوَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةً مُنْقَسِمَةً كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا. وَكَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتَقِيَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا صَارَ هَذَا الصَّوْتُ، اجْتَمَعَ الْجُمْهُورُ وَتَحَيَّرُوا، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ. فَبِهِتَ الْجَمِيعُ وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «أَتَرَى لَيْسَ جَمِيعُ هؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ جَلِيلِيِّينَ؟ فَكَيْفَ نَسْمَعُ نَحْنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِمَّا لُغَتُهُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا؟» (أعمال ٢: ١-٨)

بعض الأشياء، في ذلك النص الجدير بالملاحظة، التي تصحبنا داخل الرؤية الكونية للعالم الخارق للطبيعة للعهد القديم ليست واضحة في الترجمة الإنجليزية. فإن "هبوب الريح العاصفة" المصاحب لحلول الروح القدس هو وصف مألوف لحضور الله في العهد القديم (٢ ملوك ٢: ١، ١١؛ أيوب ٣٨: ١؛ ٤٠: ٦). وكانت النار أيضًا وصفًا مألوفًا ضمن أوصاف الله (حزقيال ١: ٤؛ إشعياء ٦: ٤، ٦؛ دانيال ٧: ٩؛ خروج ٣: ٢؛ ١٩: ١٨؛ ٢٠: ١٨).

ويتضح من تلك النصوص أن الله كان حاضرًا في هذا الحدث، وكان وراء كل ما كان يجري. كان قصد الله أن يبدأ حملته لاسترداد الأمم من يد الآلهة الأدنى التي عيَّنها عليها (تثنية ٤: ١٩-٢٠؛ ٣٢: ٨-٩)، لكن هؤلاء الآلهة قد صاروا أعداءه (مزمور ٨٢).

وكانت أداة الله للقيام بهذا هي كلمات التلاميذ - ومن هنا جاءت صورة الألسنة. فقد مكن الله أتباع يسوع اليهوديين من مخاطبة بقية اليهود المجتمعين في يوم الخمسين بلغتهم. وكان هؤلاء يسكنون في جميع الأمم الخاضعة لسيادة

الآلهة الأعداء. وبعد أن سمع هؤلاء الإنجيل وأمنوا، سوف يعودون إلى بلادهم، ليخبروا الآخرين عن يسوع.

يوم الخميس وبابل

أثارت حادثة برج بابل قرار الله أن يبَدِّد الأمم ويضعهم تحت سلطان آلهة أخرى (تثنية ٤: ١٩-٢٠؛ ٣٢: ٨-٩). ولا يبدو، من اللوحة الأولى، أن هناك رابطًا قويًا بين هذا الحدث، وما حدث في أعمال ٢. لكن، في اللغات الأصلية، توجد روابط واضحة بين الحادثتين.

هناك عنصران مفتاحيان في أعمال ٢ يربطان أحداثه ببرج بابل. أولاً، توصف السنة النار بأنها "مُنْقَسِمَةٌ"، وثانياً، قيل عن الجموع، المؤلفين من يهود من جميع الأمم، إنهم "تَحَيَّرُوا" (confused). في اللغة الإنجليزية، ربما لا يبدو هذا مقنعاً بشكل كبير. لكن لوقا كتب باللغة اليونانية، والكلمتان اليونانيتان اللتان استخدمهما هنا، والمترجمتان "منقسمة" و"تحيروا"، مستمدتان من تكوين ١١: ٧ وتثنية ٣٢: ٨، وكتاهما تصفان انقسام الألسنة والأمم في بابل، والبلبله الناتجة عن هذا.

كان لوقا، كاتب سفر أعمال الرسل، أمميًا. لم يكن بإمكانه أن يقرأ سوى اللغة اليونانية. وبالتالي، كان يستخدم الترجمة اليونانية للعهد القديم المعروفة آنذاك على نطاق واسع (وحتى اليوم) باسم الترجمة السبعينية. كان هذا هو العهد القديم المتاح للكنيسة الأولى، بما أن قليلين كان بإمكانهم قراءة اللغة العبرية. حين كتب لوقا أعمال ٢، كان في ذهنه حدث برج بابل.

لكن لماذا الربط بين الحادثتين؟ فَكَّرَ فيما حدث في يوم الخمسين. جاء الروح القدس كما جاء الله في أحيان كثيرة في العهد القديم، بهبوب ريح عاصفة ونار. وزالت الحيرة والبلبلة من جراء وجود الكثير من الألسنة (التي كانت نتيجة لبابل) حين مكَّنت ألسنة النار التلاميذ من التكلم بلغات اليهود من جميع أنحاء العالم، المجتمعين في أورشليم للاحتفال. وآمن ثلاثة آلاف منهم بالرسالة عن يسوع (أعمال ٢: ٤١).

ما من المفترض أن يحدث بعد ذلك هو يحمل أولئك المؤمنين الجدد الذي قبلوا يسوع بوصفه المسيا تلك الرسالة إلى بلادهم – أي الأمم التي تبددت في بابل. وبالرجوع إلى تكوين ١١، نجد أن الله كان قد حوّل وجهه عن أمم البشرية، وبعد ذلك مباشرة، في تكوين ١٢، دعا إبراهيم لتأسيس شعب الله الجديد وأمته الجديدة. والله في سبيله الآن إلى جمع البشر من جميع تلك الأمم التي كان قد رفضها، ليعيدهم إلى عائلته من المؤمنين، مع المؤمنين اليهود من نسل إبراهيم. وفي الوقت المعين، سيغطي كتسح ملكوت الله ممالك الآلهة الأعداء ويغمرها.

والمذهل في كل هذا هو قائمة الأمم المذكورة في أعمال ٢، وترتيبها على ذلك النحو. فإن بحثت عن هذه الأمم على الخريطة، فإنك ستنتقل من الشرق، حيث سُبي اليهود في نهاية العهد القديم في بابل وفارس، ثم ستتجه غربًا إلى أبعد نقطة كانت معروفة آنذاك. تغطي هذه الأمم المساحة نفسها التي غطتها الأمم المذكورة في تكوين ١٠ – تلك الأمم التي وُضعت تحت سلطان آلهة أدنى.

إِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَخَلْمٍ

يدور معظم سفر أعمال الرسل حول رحلات بولس التبشيرية. كان بولس هو رسول الأمم – الشخص الذي أرسله الله في الأصل ليؤسس كنائس في الأمم خارج إسرائيل. ومن الجدير بالذكر أن رحلات بولس وظروف حياته، مثل إلقاء القبض عليه من قبل الرومان، قد ذهبت به دائماً جهة الغرب.

وفي الرسائل التي كتبها بولس في العهد الجديد، عادة ما تكلم عن القوى الروحية التي تقاوم خدمته، وانتشار الإنجيل. وتُبيّن المفردات التي دعا بها الكيانات الشريرة التي انتهك نطاق سيادتها في أعقاب يوم الخمسين درايتها الجيدة بجغرافيا العهد القديم الكونية. ألاحظ خيطاً مشتركاً يتخلل لغة بولس عن قوات الظلمة غير المنظورة؟

رؤساء/رياسات (أفسس ١: ٢٠-٢١؛ ٦: ١٢؛ كولوٲسي ٢: ١٥)

سلاطين (أفسس ١: ٢٠-٢١؛ ٣: ١٠؛ ٦: ١٢؛ كولوٲسي ٢: ١٥؛ ١ كورنٲثوس ٢: ٦)

قوات (أفسس ١: ٢٠-٢١؛ ٣: ١٠)

سيادات (كولوٲسي ١: ١٦)

أرباب (أفسس ١: ٢٠-٢١؛ ١ كورنٲثوس ٨: ٥)

عروش (كولوٲسي ١: ١٦)

تشير كل هذه الكلمات إلى حُكم مناطق جغرافية. وفي حقيقة الأمر، تُستخدم هذه المصطلحات نفسها في العهد الجديد، وفي كتابات يونانية أخرى لتشير إلى بشر أصحاب سلطة سياسية. وتُعبّر لهجة بولس عن سلطة في نطاق جغرافي معين. وبالتالي، فهي تعكس كيف يُصوّر العهد القديم علاقة العالم

الروحي بالعالم البشري: أي أن الأمم التي نبذها الله خاضعة لسيادة الكائنات الروحية المعادية له ولشعبه.

"أَذْهَبُ إِلَى اسْبَانِيَا"

ينتهي سفر أعمال الرسل بسفر بولس إلى روما. كان بولس سجينًا، وكان ذاهبًا إلى روما لسببين: ليرفع دعواه إلى قيصر، ولينشر الإنجيل. لكن بولس كان يعلم أنه كي يستعيد الأمم الواقعة تحت سيطرة الآلهة المعادية، كان يتحتم عليه أن يصل إلى أقصى العالم المعروف آنذاك. وفي أزمنة العهد القديم، كان ذلك الموضع يُدعى ترشيش. أما في عهد بولس، فكان يدعى أسبانيا. كان على بولس أن يصل إلى أسبانيا كي يتم إرسالته. وتُخبرنا كلماته إلى أهل رومية التي كتبها قبل سجنه أنه كان قد انتوى الذهاب إلى أسبانيا - إلى أقصى مكان يمكن أن يصل إليه غربًا في أيامه - كي يسترد كل أمة ليسوع:

"فَعِنْدَمَا أَذْهَبُ إِلَى اسْبَانِيَا آتِي إِلَيْكُمْ. لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ أَرَآكُمْ فِي مُرُورِي وَتُشَيِّعُونِي إِلَى هُنَاكَ، إِنْ تَمَلَّاتُ أَوْ لَا مِنْكُمْ جُزْئِيًّا ... فَمَتَى أَكَمَلْتُ ذَلِكَ، وَخَتَمْتُ لَهُمْ هَذَا الثَّمَرِ، فَسَأَمْضِي مَارًّا بِكُمْ إِلَى اسْبَانِيَا" (رومية ١٥: ٢٤، ٢٨)

كان الحافز الذي دفع بولس هو إدراكه أن حُطّة الله لاسترداد ملكوته كان قد بدأ تنفيذها بالفعل في أثناء حياته. فقد آمن بأنه "إِلَى أَنْ يَدْخُلَ مَلَأُ الأُمَمِ" حينئذٍ "سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ" (رومية ١١: ٢٥-٢٦). وكان يعتقد أنه كان عليه أن ينهي ما كان يوم الخمسين قد بدأه.

لماذا يشكل هذا أهمية؟

كان لبولس منظور خارق للطبيعة لحياته الشخصية. فقد اعتبر نفسه أداة بين يدي الله. وقد كان كذلك بالفعل. لكن هكذا أيضًا كان جميع المؤمنين الجدد المجهولون الآخرون الذين، بعد يوم الخمسين، سبقوه فخرجوا من أورشليم لاجتياح معازل شيطانية حيث كانوا ساكنين.

وهكذا نحن أيضًا.

إن كنا أدوات بين يدي الله كما كان بولس، فلماذا إذن فاقنا بولس تأثيرًا وفعالية؟ أحد الاختلافات بيننا وبين بولس هو أنه أدرك ما كانت حياته تدور حوله. فقد آمن بأن القوات التي كانت تهيمن على الأرض حقيقية - وبأن القوة التي تقف خلفه وفيه كانت أعظم.

هل تؤمن بتلك الأمور؟ يقدم الكتاب المقدس هذه الحقائق كمسلّمات. وهكذا تعامل بولس معها في أثناء حياته.

لم يكن بولس يعرف كم كان العالم كبيرًا حقًا. لم يكن يعلم شيئًا عن أمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، والصين، والهند، والنرويج، وأستراليا، وآيسلندا، والكثير من الأماكن الأخرى. لكن الله كان يعلم. كان الله يعلم بأن مهمة نشر الإنجيل في كل العالم ستكون في النهاية أعظم بكثير من إدراك بولس. وكان الله يعلم أن آخرين كان عليهم أن يتبعوا هدف بولس لكيما يصل الإنجيل إلى كل جزء من أجزاء الأرض. إن لم نكن نحاول تنفيذ المهمة بكل نشاط، فإننا لسنا نعمل ما نحن موجودون على الأرض لنعمله. إن كنا نريد فقط أن يأتي الله إلينا ليسد حاجتنا، فإننا إذن أقرب شبهًا إلى شعب برج بابل، أكثر منه إلى يسوع، والاثني عشر، وبولس.

يوجد تطبيق آخر لنصوص الكتاب المقدس التي درسناها، وهو كون فكرة الحصون أو المعقل الشيطانية هي فكرة كتابية. لم يعطنا الكتاب المقدس وصفاً كاملاً للمناطق الشيطانية أو لحدود أراضٍ، أو حتى لتسلسل رُتب قوات الظلام الروحية غير المنظورة. لكننا مع هذا نعلم أن القوات غير المنظورة ترى أن الأرض نطاق سيادتها. ويخبرنا الكتاب المقدس بأن تلك القوات تقاوم ملكوت الله، ولا تريد أن يصير البشر جزءاً من خُطة الله لنشر حكمه الصالح في كل مكان. وهذا يعني أن علينا أن نتوقع مقاومة لا نستطيع تفسيرها بالمنطق، أو بالبرهان التجريبي، ولا يمكننا التغلب عليها من تلقاء ذاتنا. لقد أعطانا الله روحه، ووسائل غير منظورة كي تساعدنا في استكمال تنفيذ إرسالته (١ كورنثوس ٣: ١٦؛ ١٩: ٦؛ عبرانيين ١: ١٣؛ ١ يوحنا ٤: ٤).

لكن السؤال الفعلي الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا هو: كيف يمكن لحياتنا أن تبدو إن كنا نستيقظ كل يوم من نومنا بمنظور عن العالم وتأثيراته الفائقة للطبيعة، يوافق منظور بولس؟ ماذا إن أصبحت حياتنا، كل يوم، منظمة ومرتبة بناء على معرفتنا بمكانتنا كأعضاء في عائلة الله، أوكلنا مهمة إنقاذ إخوتنا من الظلمة؟ ماذا إن عشنا حياة هادفة، عالمين أن كل قرار نتخذه، وكل كلمة نتفوه بها ليست عشوائية؟ وماذا إن آمنا، عوضاً عن ذلك، بوجود كيانات عاقلة غير منظورة في جميع الأنحاء من حولنا تستخدم قراراتنا، وأفعالنا، وكلماتنا للتأثير في آخرين - بالخير أو بالشر - سواء كنا نرى ونعرف هذه الكيانات أو لا؟ لا تمثل وظائفنا، ودخلنا، ومواهبننا، وحتى مشكلاتنا أية أهمية أمام معرفتنا من نحن بالحقيقة، ومن سنكون، ولماذا نحن هنا. ليس بإمكاننا رؤية العالم الفائق

للطبيعة، كما أننا لا نستطيع رؤية العالم الميكروسكوبي. لكننا - على نحو لا مفر منه - جزء من كليهما.

هكذا فكر المؤمنون الأوائل. وسنرى في الفصل التالي، أن هؤلاء كانوا مؤمنين بأن العالم من حولهم مستعد للظلمة، التي سيأتي لها يوم وتنقضي. ومع أن المعركة كانت حربيًا هم ضد العالم المعادي وقواته، لكنهم قاموا في سكون بتأسيس ذلك الشيء الكوني الذي نطلق عليه المسيحية، بينما يعينهم في هذا الله ووسائطه غير المنظورة. لقد صدّقوا أن الصراع الروحي واقعي، وأنهم لن يَنْهزموا في النهاية. ونحن برهان حي على أنهم لم يَنْهزموا.

الفصل الرابع عشر

لسنا من هذا العالم

في صلاة يسوع الشهيرة في بستان جثسيماني، قبل إلقاء القبض عليه ليخضع للمحاكمة، قال عن أتباعه: "لَيْسُوا مِنِّ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١٧: ١٦). قطعاً كان المؤمنون في العالم، وقد كلفهم الله بمهمة خاصة أن يُوصِّلوا الإنجيل إلى كل أمة (متى ٢٨: ١٩، ٢٠)، لكنهم لم يكونوا من العالم. هذه المفارقة – أي كونهم في العالم ولكنهم ليسوا منه – قد أُعلِنَت للمسيحيين الأوائل بطرائق كثيرة لا تُنسى.

موضع مقدس، أرض مقدسة، وحضور الله

تحدثنا في الفصل الثامن عن مفهوم الموضع المقدس. فبالنسبة لشعب إسرائيل في العهد القديم، كان الله غير الآخرين، مختلفاً ومميزاً [other] تماماً. وكان الموضع الذي شغله حضوره منفصلاً عن كل موضع آخر. لم يكن ذلك إنكاراً لكون الله كلي الوجود – في كل مكان في كل الأوقات. بل في المقابل، كانت هذه وسيلة لتمييز الأرض التي اختار أن يتقابل فيها مع شعبه. كان هذا أحد أغراض وجود خيمة الاجتماع والهيكل. لم يكن مفهوم الموضع المقدس هو الأساس المنطقي فحسب للكثير من شرائع إسرائيل وطقوسها، لكنه أيضاً عزَّزَ فكرة الجغرافيا الكونية – أي كسق تم تقسيم العالم ما بين الآلهة الأدنى والإله العلي، إله إسرائيل.

تظهر فكرة الموضع المقدس في العهد الجديد بأسلوب مثير. كل ما يلزمنا أن نسأله هو: "أين محضر الله الآن؟" في حين أن الله موجود في كل مكان، لكنه يسكن بالأخص داخل كل مؤمن. صدق أو لا تصدق، أنت موضع مقدس. وقد كتب بولس بوضوح شديد: "أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُّيسِ" (١) كورنثوس ٦: ١٩).

ينطبق الشيء ذاته على موضع اجتماع المؤمنين معًا كجماعة. حين كتب بولس للكنيسة في كورنثوس، أخبرهم بشكل جماعي: "أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ" (١) كورنثوس ٣: ١٦). كما قال للمؤمني أفسس إنهم "أَهْلُ بَيْتِ اللَّهِ ... هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا لِلَّهِ فِي الرُّوحِ" (أفسس ٢: ١٩، ٢١، ٢٢).

يقتضي هذا معاني مذهلة. غالبيتنا على دراية جيدة بتصريح يسوع: "لَأَنَّكُمْ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (متى ١٨: ٢٠). لكن حين يُنظر إلى هذا التصريح في سياق فكرة الموضع المقدس في العهد القديم، فإنه يعني أنه أينما اجتمع المؤمنون، فإن الأرض الروحية التي يشغلونها تتقدس وسط قوات الظلمة.

كان آخر موضع لسُكنى يهوه الذي اختاره في العهد القديم هو إسرائيل - الهيكل في أورشليم. صارت إسرائيل أرضًا مقدسة لأنها كانت الموضع الذي أقام فيه حضور الله. لكن كانت تلك الأرض المقدسة مهددة من الأمم المحيطة بها ومن آلهتها المعادية. وهكذا أيضًا، يخوض المؤمنون اليوم حربًا روحية. نحن الآن

هيكَل الله، الموضع الخاص والمميز حيث يسكن روح الله، نقاط مضيئة تشير إلى نور حضوره - منتشرون في كل أنحاء عالم مستعبد لقوى الظلام.

مُسَلَّم للشيطان

يتضح هذا المفهوم جيداً من خلال وجهة نظر بولس حول قدسية الكنيسة المحلية. كل جماعة مؤمنين هي أرض مقدسة، لا مكان فيها لخطية دون توبة.

تناولنا في الفصل الثامن، كيف تعاملت محلة إسرائيل مع الخطية للحفاظ على قدسية المحلة - موضع إسرائيل المقدس. وتحدثنا عن يوم الكفارة (لاويين ١٦)، حيث كانت خطايا الأمة تنتقل طقسياً إلى تيس - وهو التيس الذي "لعزازيل" (لاويين ١٦: ٨، ١٠). كان عزازيل كياناً شيطانياً جرى الاعتقاد بأنه يسكن البرية. وكان بنو إسرائيل يرسلون التيس إلى البرية، حاملاً خطاياهم بعيداً. بهذا الفعل كانت خطايا الشعب تُرسل رمزياً إلى حيث كانت تنتمي - إلى البرية، موضع الظلمة الروحية.

أوصى بولس أهل كورنثوس بالتعامل مع الخطية بالطريقة نفسها؛ أي بإرسالها إلى حيث تنتمي. ففي ١ كورنثوس ٥، كتب إليهم عن رجل كان يجيا في فجور جنسي، وكان يلزم أن يتوب. وأمرهم قائلاً: "يُسَلَّمْ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ" (١ كورنثوس ٥: ٥). كان الأساس المنطقي لهذا واضحاً - لم يكن للخطية مكان على الأرض المقدسة. وكان يتحتم على المؤمنين عزل المؤمنين غير التائبين من الكنيسة (١ كورنثوس ٥: ٩-١٣). والعزل من الكنيسة معناه الدفع بالمؤمن غير التائب داخل نطاق مملكة إبليس ونطاق نفوذه، أي العودة إلى العالم ثانية.

كان بولس يرجو أن تكون النتيجة لهذا الرجل غير التائب هي "هَلَاكِ
الجَسَدِ، لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ" (١ كورنثوس ٥: ٥). ليست الإشارة
هنا إلى الموت الجسدي، بل إلى موت الشهوات الجسدية التي تُوقع هذا الرجل في
شَرَكِهَا (غلاطية ٥: ٢٤؛ ١ كورنثوس ١١: ٣٢، ٣٣).

المعمودية باعتبارها حرباً روحية

كان موقف بطرس من هذا الموضوع هو نفسه موقف بولس - كان
المؤمنون في مصارعة مع قوى الظلام. ونجد هذا تفكيره الحربي في واحد من
أغرب النصوص في العهد الجديد، ١ بطرس ٣: ١٤-٢٢

"وَلَكِنْ وَإِنْ تَأَلَّمْتُمْ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، فَطُوبَاكُمْ. وَأَمَّا خَوْفُهُمْ فَلَا تَخَافُوهُ وَلَا
تَضْطَرُّوْا، بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الْإِلَهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمَجَاوِبَةِ كُلِّ مَنْ
يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ، وَلَكُمْ ضَمِيرٌ صَالِحٌ،
لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ يَشْتُمُونَ سِيرَتَكُمْ الصَّالِحَةَ فِي الْمَسِيحِ، يُخْزَوْنَ فِي مَا يَفْتَرُونَ
عَلَيْكُمْ كِفَاعِي شَرٍّ. لِأَنَّ تَأَلَّمَكُمْ إِنْ شَاءَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ خَيْرًا،
أَفْضَلُ مِنْهُ وَأَنْتُمْ صَانِعُونَ شَرًّا. فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ
الْخَطَايَا، الْبَارَّ مِنْ أَجْلِ الْأَثْمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللَّهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيًى
فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا ذَهَبَ فَكَّرَزَ لِلْأَزْوَاجِ الَّتِي فِي السَّجْنِ، إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا،
حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللَّهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلُكُ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ
قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ. الَّذِي مِثْلُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الْآنَ، أَيِ الْمَعْمُودِيَّةِ. لَا
إِرْزَالَهُ وَسَخَ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالَ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللَّهِ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ
فِي يَمِينِ اللَّهِ، إِذْ قَدْ مَضَى إِلَى السَّمَاءِ، وَمَلَائِكَةُ وَسُلَاطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخَضَّعَةٌ لَهُ"

أنا على يقين من أنكم لاحظتم الأشياء الغريبة في النص. ما علاقة الفلك، ونوح، والأرواح التي في السجن بالمعمودية؟ وهل يقول هذا النص إن المعمودية تُخلِّصنا؟

ما يفعله بطرس هنا يشبه شيئاً يفعله بولس في رومية ٥. في ذلك النص تحدث بولس عن يسوع، وفي ذهنه آدم. فقد اعتبر يسوع، من بعض النواحي، نقيض آدم. ولهذا يقول أشياء من قبيل "لأنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ [آدم] جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً، هَكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ [يسوع] سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا" (رومية ٥: ١٩). لكن حين كتب بطرس عن يسوع في ١ بطرس ٣، كان في ذهنه أخنوخ، لا آدم. لكن بالنسبة لبطرس، لم يكن أخنوخ ويسوع متضادين. بل يُعد أخنوخ تناظرًا أو مشابهًا للفكرة التي يريد بطرس تقديمها عن يسوع.

وربما تتساءل: "ما الفكرة؟" ففي النهاية، لا توجد سوى بضعة آيات عن أخنوخ في العهد القديم (تكوين ٥: ١٨-٢٤). وكل ما نعرفه عنه هو أنه عاش قبل الطوفان العظيم "سَارَ أَخْنُوخٌ مَعَ اللَّهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لِأَنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ" (تكوين ٥: ٢٤). لا توجد فعليًا أية صلة بين هذه الأعداد وما يقوله بطرس عن يسوع في ١ بطرس ٣.

وكي نفهم جيدًا سبب أن شيئًا فعَّله أخنوخ ذكَّر بطرس بيسوع، يلزمنا أن نفهم أن بطرس قرأ عن أخنوخ في الكتابات اليهودية خارج العهد القديم. وبالأخص، كان بطرس على دراية بسفر يهودي قديم يقول الكثير عن أخنوخ. وكان اسم السفر، كما هو متوقع، أخنوخ الأول. هذا السفر حافل بالكثير من التفاصيل عما حدث في زمن الطوفان، بخاصة ما حدث في تكوين ٦: ١-٤،

حيث أنجب أبناء الله (يطلق عليهم أخنوخ المراقبون) أبناءً (العمالقة "النفيليم") من نساء بشريات. حين كتب كل من بطرس ويهوذا عن الملائكة الذين أخطأوا في أيام نوح (٢ بطرس ٢: ٤-٥؛ يهوذا ٦)، كانوا يُلْمَحون إلى أفكار وردت في سفر أخنوخ الأول، لكنها لم تكن جزءًا من قصة الطوفان الكتابية. على سبيل المثال، لا تخبرنا قصة الطوفان في سفر التكوين ولا مرة بأن أبناء الله من الآلهة كانوا في السجن في الهاوية، عالم الأموات السفلي حتى نهاية الأيام، لكن يخبرنا بهذا أخنوخ الأول (١ أخنوخ ٦: ١-٤؛ ٧: ١-٦؛ ١٠: ٤، ١١-١٣).

شيء ما حَدَثَ "لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السَّجْنِ" في سفر أخنوخ الأول أعطى لبطرس فهمًا متبصرًا عن يسوع. في القصة التي يحكيها سفر أخنوخ الأول، رأى أخنوخ في حلم أن الأرواح التي في السجن طلبت منه أن يتشفع لهم أمام الله. ففي النهاية، سار أخنوخ مع الله - ومن أحسن منه ليطلب من الله أن يرجع عن قراره ويُطلقهم؟ وقد فعل أخنوخ هذا، لكنه تلقى خبرًا سيئًا. كان رد الله هي لا قطعية. وكان على أخنوخ حينئذ أن يوصل ذلك الرد - فنزل إلى الأرواح التي في السجن. وأخبرهم بأنهم لا زالوا تحت الدينونة.

استخدم بطرس تلك القصة كتناظر أو مشابهة ليسوع. والفكرة التي أراد توصيلها هي أن يسوع حين مات، نزل إلى عالم الأموات، حاملاً معه رسالة إلى الكائنات الإلهية الساقطة هناك. وحين رأى هؤلاء يسوع يدخل إلى موضع الأموات، مالوا إلى الاعتقاد بأن الشياطين شركائهم قد انتصروا، وأنهم من المنتظر أن يخرجوا من السجن قريبًا. لكن بدلاً من ذلك، أخبرهم يسوع بأنه لن يبقى معهم لمدة طويلة - لأنه سيقوم من بين الأموات. كان هذا كله جزءًا من خطة الله. لم ينتصر هؤلاء - بل كانوا لا يزالون تحت الدينونة، ومحكومًا عليهم بالهلاك

كما هو شأنهم من قبل. ولهذا ينتهي هذا النص العجيب بهذه الطريقة، حيث يسوع "قَدْ مَضَى إِلَى السَّمَاءِ"، جالسًا فِي يَمِينِ اللَّهِ ... وَمَلَائِكَةٌ وَسَلَاطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخَضَّعَةٌ لَهُ" (١ بطرس ٣: ٢٢).

لماذا يربط بطرس كل هذا بالمعمودية؟ وفقًا لفكر بطرس، كان موت يسوع وقيامته، بالإضافة إلى إعلان انتصاره للقوات الشيطانية – يُرمز لهم بالمعمودية. وترمز المعمودية إلى موت يسوع، ودفنه، وقيامته (رومية ٦: ١-١١).

وبحسب بطرس، كانت المعمودية "توازي" كل هذا لأنها "سُؤَالَ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللَّهِ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ بطرس ٣: ٢١). تشير الكلمة اليونانية المترجمة "سؤال" إلى تعهد يقوم به المرء. وعادة ما تشير الكلمة اليونانية المترجمة "ضمير" إلى قدرة على التمييز بين الصواب والخطأ. لكن لم يكن هذا هو المعنى هنا. فلا توجد علاقة محددة بين معرفة الفارق بين الصواب والخطأ وموت يسوع، ودفنه، وقيامته. لكن يمكن للكلمة اليونانية أن تشير أيضًا إلى تعهد – وتعهد رزين، لا مندفع. وهذا هو ما يرمي إليه بطرس في ١ بطرس ٣. ففي الأساس، تعد المعمودية يمين ولاء، ورسالة إلى القوات الشيطانية (وأيضًا أي إنسان حاضر) عن الجانب الذي تقف فيه في الحرب الروحية. وقد أدرك المؤمنون القدامى هذا أفضل منا اليوم. وبسبب هذا النص، كانت طقوس المعمودية في الكنيسة الباكرا تتضمن جحدًا^٧ لإبليس وللملائكته.

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

أولاً، عليك أن تدرك أن المؤمنين أرض مقدسة، الموضع الذي يقيم فيه حضور الله – مجد العهد القديم. هل نحيا بموجب هذا؟ فقد شَعَرَ بنو إسرائيل والمؤمنون في زمن يسوع بحاجة دائمة إلى أن يكونوا مختلفين عن غير المؤمنين. لم يكن الهدف هو أن يكونوا غريبين بشكل متعمد لدرجة أن يتجنب غير المؤمنين الاحتكاك بهم. بل كان على إسرائيل أن تكون "مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً" (خروج ١٩: ٦). إن السلوك بحسب مشيئة الله لأبنائه قاد إلى حياة مثمرة، ومنتجة، وسعيدة. كان على بني إسرائيل أن يجتذبوا الناس المستعبدين لآلهة معادية، ليرجعوا إلى الإله الحقيقي.

حين تكون رؤيتنا الكونية متناغمة مع حُطّة الله لإنقاذ البشر من كل أمة، وجعلهم جزءاً من عائلة الله، فإننا حينئذ لسنا من هذا العالم. إن كنا من هذا العالم فهذا يعني أن نكون غارقين في هموم العالم، وأن نسلك وفقاً لذلك. ينبغي لغير المؤمنين أن يميّزوا من خلال كلماتنا، وسلوكنا، وأخلاقياتنا، وتوجهنا نحو الآخرين أن يروا أننا لسنا مولعين بالانتقاد، أو أنانيين، أو قاسين – وأن تركيزنا ليس منصباً على التفوق عليهم أو استغلالهم. ينبغي ألا نحيا كي نرضي أنفسنا. بل علينا أن نكون عكس كل هذه الأشياء. بكلمات أخرى، علينا أن نسلك كما سلك يسوع. لقد أراد الناس أن يكونوا بالقرب منه لأنه لم يكن مثل الآخرين.

ثانياً، ينبغي لما نقوم به في كنائسنا أن يُمدد الله ويسوع. في عصور الكتاب المقدس، كانت الزيارة إلى خيمة الاجتماع أو الهيكل تعزز الأفكار عن كمال الله، وتفردته عن الآخرين – ومحبته لأولاده. هذه الأشياء ملازمة بعضها لبعض. لِمَ قد يرغب الله، الذي لا يحتاج إلى أي شيء، ويسمو فوق كل شيء، في عائلة بشرية؟ لِمَ

قد يتكبد ذلك الإله العناء ليخلق عائلة جديدة بعد أن نبذ الأمم عند برج بابل،
وسَلَّمَهُمْ إلى آلهة أخرى؟ لم لا يتركنا ببساطة ويمضي في سبيله؟ لأنه يجبنا.

حين نعلم أن الله كان بإمكانه أن يفعل شيئًا آخر ولكنه لم يفعل، تصير
لمحبته معنى. حين لا تتحدث كنيسة إلا عن محبة الله دون الإشارة إلى عدم
منطقية تلك المحبة إذا ما قورنت بصفات طبيعة الله الأخرى، سيعتبر المؤمنون
هذه المحبة أمرًا مسلمًا به. وقد تبدو حينئذ رخيصة، على سبيل المثال، لأناس
غافلين عن قداسة الله.

والتطبيق الثالث لما تحدثنا عنه في هذا الفصل هو أن قوات الظلمة تعلم
من سلوكنا في أي جانب نحن. فهم ليسوا أغبياء. هم يرون ولاعنا لله، ويروننا
حين نتصرف بموجب قرارنا باتباع يسوع من خلال أشياء كالمعمودية، ومقاومتنا
للخطية. لكنهم يروننا أيضًا حين نخون الله، ويدركون حجم الضعف الذي يجلبه
هذا إلى حياتنا. سواء كنا نصدق هذا أم لا، نحن مراقبون - من كلا طرفي الحرب
الروحية.

إن فهم هذه الحقائق أسهل من السلوك بها. فعلى الرغم من أننا افتدينا،
لكننا ساقطون. وكى نسلك بموجب هذه الحقائق، يجب أن تتناغم أذهاننا وقلوبنا
مع الغرض من وجودنا هنا، كغرباء في هذا العالم. فإننا، نظير يسوع، لسنا من هذا
العالم - نحن فيه، لكننا لسنا منه (يوحنا ٨: ٢٣؛ ١ يوحنا ٤: ٤). ذلك التباين،
وحالتنا، سيصيران أكثر وضوحًا حالما أدركنا جيدًا معنى أن نكون أولاد الله.

الفصل الخامس عشر

شركاء الطبيعة الإلهية

أتعلمون من أنتم؟

طرحْتُ هذا السؤال سابقًا، لكن حان الوقت لأن أثيره مجددًا. نعم، نحن في العالم لكننا لسنا منه. وصحيح أننا مُخَلَّصون بالنعمة بالإيمان بعمل يسوع على الصليب (أفسس ٢: ٨-٩)، لكن هذه مجرد بداية فهمنا لما كان الله يُحْطط لتنفيذه.

كان قصد الله الأصلي في جنة عدن هو أن يدمج عائلته البشرية مع عائلته الإلهية، أبناء الله السمايين الذي كانوا موجودين قبل الخلق (أيوب ٣٨: ٧-٨). لم يتخلى الله عن تلك الخطة عند السقوط. فإنك، أيها المؤمن، ستصير كائنًا إلهيًا، كواحد من أبناء الله الآلهة (إلوهيم)، كيسوع نفسه (١ يوحنا ٣: ١-٣).

يشير اللاهوتيون إلى هذه الفكرة بعدة مصطلحات. وأكثرها شيوعًا هو التمجيد. أشار بطرس إلى هذه الفكرة بقوله إننا صرنا "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بطرس ١: ٤). وصاغها يوحنا كالتالي: "أُنظَرُوا آيَةً مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ! ... الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ" (١ يوحنا ٣: ١-٢). وفي هذا الفصل، سنلقي نظرة على كيفية نقل الكتاب المقدس لهذه الرسالة.

أبناء الله، نسل إبراهيم

حين أسلم الله أمم العالم في حادثة برج بابل إلى آلهة أدنى منه، فعل هذا عالمًا أنه كان سيبدأ من جديد مع عائلة بشرية جديدة من خاصته. ودعا الله

إبراهيم (تكوين ١٢: ١-٨) بعد حادثة برج بابل مباشرة (تكوين ١١: ١-٩). ومن خلال إبراهيم وزوجته سارة، كان الله عتيديًا أن يعود ثانية إلى حُطّة عدن الأولى.

لكن أخفق شعب الله، أبناء إبراهيم، بنو إسرائيل، تمامًا في استعادة حكم الله الصالح على الأرض. لكن واحدًا من هؤلاء الأبناء سوف ينجح في ذلك. سيتجسّد الله في يسوع، الذي هو من نسل داود، وإبراهيم، وآدم. وبواسطة يسوع تحقق وعد الله بأنه يومًا ما سيبارك الأمم التي عاقبها في بابل. وكتب بولس عن ذلك في مواضع عديدة. وإليك موضعان منهما:

"أَنَّهُ بِإِغْلَانٍ عَرَفَنِي بِالسَّرِّ. كَمَا سَبَقْتُ فَكَتَبْتُ بِالْإِيمَانِ. الَّذِي بِحَسَبِهِ جِينَمَا تَقْرَأُونَهُ، تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْهَمُوا دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ ... أَنَّ الْأُمَّمَ شُرَكَاءَ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالْإِنْجِيلِ" (أفسس ٣: ٣-٦)

"لَأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ ... لَيْسَ يَهُودِيًّا وَلَا يُونَانِيًّا. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَانْتُمْ إِذَا نَسَلْتُمْ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ" (غلاطية ٣: ٢٦-٢٩)

كما أوضحْتُ في فصول سابقة: على مدى العهد القديم، عاش أولئك الذين لم يكونوا من شعب إسرائيل في أرض صارت تحت سيادة الآلهة الأدنى الذين عَيَنهم الله على تلك الأمم في بابل. ففي بابل، حُرمت الأمم، عدا إسرائيل، من ميراثها، الذي هو علاقة مع الإله الحقيقي. كانت إسرائيل، وحدها، "قِسْم" الله (تثنية ٣٢: ٩) من بين البشر. وأشار بنو إسرائيل إلى شعوب الأمم التي حُرمت من الميراث بأسماء كثيرة. فقد استخدموا ألقابًا جغرافية أو عرقية (مثل: مصريين،

وموآبيين، وعماليق)، لكن كان الوصف الشامل لهم في أزمنة العهد الجديد هو الأمم، وهو لقب مشتق من الكلمة اللاتينية التي تترجم "بلاد أو أمم" [nations] (gens). فإن لم تكن يهوديًا، فإنك أممي.

وتدور قصة العهد الجديد حول رجل من نسل إبراهيم - يسوع - مات وقام من بين الأموات كي يفتردي لا نسل إبراهيم العرقي فحسب (شعب إسرائيل/ اليهود)، بل أيضًا جميع البشر من كل الأمم، التي حُرمت سابقًا من ميراث الإله الحقيقي. وفي الأعداد التي اقتبسناها أعلاه، دعا بولس ضم الأمم إلى عائلة الله "سرًا". لقد أذهلته إمكانية أن يرث أناس من الأمم التي تخلى عنها الله، التي كانت تحت سيطرة الآلهة الأخرى، المواعيد التي أُعطيت لإبراهيم.

في المسيح، كل من يقبلون الإنجيل هم أبناء يهوه، الإله الحقيقي، إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب (يوحنا ١: ١٢؛ غلاطيّة ٣: ٢٦؛ رومية ٨: ١٤). ولهذا السبب يشير العهد الجديد إلى المؤمنين مستخدمًا ألفاظًا عائلية (أبناء، أولاد، ورثة)، ولغة "التبني" من قِبَل الله (رومية ٨: ١٥، ٢٣؛ أفسس ١: ٥؛ غلاطيّة ٤: ٤). فإن لغة الميراث واضحة كالشمس ومتعمّدة. وهي تخبرنا بهويتنا: نحن عائلة الله الإلهية- البشرية الجديدة. ومصير المؤمن هو أن يكون في المستقبل ما كان عليه آدم وحواء في الأصل: خالداً، حاملاً ممجّداً لصورة الله، يحيا في محضر الله.

لكن حتى هذا لا يكفي للتعبير عن هويتنا بشكل كامل؛ فالجزء الأكثر روعة في هذا هو كيف ينظر يسوع لنا.

لم شمل العائلة

يقدم لنا الأصحاحان الأول والثاني من الرسالة إلى العبرانيين صورة مثيرة ومؤثرة لعائلة الله المختلطة – إلهية وبشرية. وبالنسبة لي، تُعد هذه النصوص من أكثر النصوص المثيرة والمؤثرة في الكتاب المقدس.

يطرح الأصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين فكرة أن يسوع "أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ" (عدد ٤). لا أحد في مجمع الله السماوي أعلى من يسوع. ففي النهاية، هو الله. وفي حقيقة الأمر، يوضح الكاتب أنه إذ لم يكن أحد من الملائكة مؤهلاً كي يصير إنساناً، ويرث الملكوت، يلزم بالتالي أن تسجد الملائكة ليسوع (عدد ٥-٦)؛ لأن يسوع ملك.

من الجدير بالملاحظة أنه حين صار يسوع إنساناً، وُضع إلى حين قليلاً عن الملائكة. فصار واحداً منا. إن البشر مخلوقات أقل، أي أدنى من الكائنات الإلهية كالملائكة. ويطرح كاتب الرسالة إلى العبرانيين السؤال التالي:

"مَا هُوَ الْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرُهُ؟ أَوْ ابْنُ الْإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ. بِمَجْدٍ وَكِرَامَةٍ كَلَّمْتَهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ... وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، يَسُوعُ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (عبرانيين ٢: ٦-٩).

وماذا كانت نتيجة ما فعله يسوع؟ ربما نجيب بأن النتيجة هي الخلاص. ومع أن جوابنا قد يكون صحيحاً، لكن ينقصه مع ذلك ما أراد كاتب الرسالة إلى العبرانيين لنا أن نعرفه. فيما أن الله صار إنساناً في يسوع المسيح، سيصير أتباعه الفانون إلهيين – وأعضاء في العائلة نفسها.

يومًا ما، سواء بعد موتنا أو عند مجيء يسوع ثانية إلى الأرض في الصورة النهائية للملكوت على الأرض، أي عدن الجديدة، سيقدمنا يسوع بصورة رسمية لبقية المجمع السماوي، وسيقدم المجمع لنا بصورة رسمية. فقد صار مثلنا كيما نصير نحن مثله:

"لَأَنَّهُ لَاقَ بِذَلِكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمَّلَ رَيْسَ خَلَاصِهِمْ بِالْآلَامِ. لِأَنَّ الْمُقَدَّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوهُمْ إِخْوَةً، قَائِلًا: «أَخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ [الجماعة assembly] أَسْبِّحُكَ» ...

وأيضًا: «هَا أَنَا وَالْأَوْلَادُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ اللَّهُ» (عبرانيين ٢: ١٠-١٣)

وبدلاً من أن يستحي يسوع أمام آلهة (الوهيم) مجمع الله عندما صار إنساناً - أي لكونه صار أدنى منهم - يجد يسوع متعة بالغة في هذا. فقد كان كل هذا جزءاً من استراتيجية كبرى. وإذ يقف في المجمع ("في وَسَطِ الْكَنِيسَةِ [الجماعة assembly]"), يقدمنا رسمياً قائلاً: "هَا أَنَا وَالْأَوْلَادُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ اللَّهُ. صرنا جميعاً معاً الآن - وإلى الأبد. وقد كانت هذه هي الخطة منذ البداية.

إن انضمامنا إلى عائلة الله الإلهية الممجّدة هو مصيرنا. يعبر بولس عن هذه الفكرة بشكل رائع في رومية ٨: ١٨-٢٣

"فإني أحسب أن الآم الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيدي أن يُستعلن فينا. لأنّ انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله ... وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نؤمن في أنفسنا، متوقعين الثبتي فداء أجسادنا".

شَجَّ بولس المؤمنين بالرسالة نفسها. فقد قال لمؤمني رومية إنهم معيّنون "لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رومية ٨: ٢٩). وقال لكنيسة كورنثوس: "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاطِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ" (٢ كورنثوس ٣: ١٨)، وإن بشرتنا ستتغير "لَأَنَّ هَذَا الْفَاسِدَ لَا بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهَذَا الْمَائِتُ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ" (١ كورنثوس ١٥: ٥٣). وبالنسبة لبطرس، كان الانضمام إلى مجمع عائلة الله يعني أن نصير "شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ" (٢ بطرس ١: ٤). وقال يوحنا هذا ببساطة شديدة: "نَكُونُ مِثْلَهُ" (١ يوحنا ٣: ٢).

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

كمؤمنين، من المرجح أننا سمعنا مرات عديدة من يقول إننا نحتاج إلى أن نتشبه بيسوع. بالطبع نحتاج إلى هذا. لكن حين نسمع ذلك، نميل إلى فهم الأمر فقط بمعنى أن نكون صالحين، أو ربما أن نكون "أقل شرًا". فإننا نحوّل فكرة تكاد تكون غير قابلة للتصوّر – أننا يومًا ما سنكون مثل يسوع – إلى أداء معيّن مفروض علينا.

لكن بدلًا من أن نشعر بالذنب حيال عدم ارتقائنا إلى نموذج يسوع، وبدلًا من أن نتعهد في قلوبنا بأن "نُحَسِّنَ من أداثنا"، نحتاج أن نسمح لبركة ما عمّله يسوع بالفعل، وما سيعمله، بأن تُصَلِّحَ فِكْرَنَا عن مشابهتنا له. يمكننا أن نُحوّل مشابهتنا للمسيح إلى مهمة لا بد أن نُؤديها للحيلولة دون غضب الله علينا، لكن هذا فكر لاهوتي خاطئ. فهو يُحوّل النعمة إلى واجب. أو يمكننا عوضًا عن ذلك أن نكون ممتنين من أننا يومًا ما سنكون ما يرغب الله بشدة في

أن يجعلنا- أي ما سبق فعيننا كي نكونه (رومية ٨: ٢٩) - ونسلك بحيث يرغب المستعبدون لقوات الظلمة في الانضمام إلينا في عائلة الله. ينظر أحد المنظورين إلى الداخل، بينما ينظر الآخر نحو السماء.

لا تتعلق الحياة المسيحية الآن بالخوف من أننا سنخفق في أن نجعل ذلك الذي أحبنا ونحن بعد مستعبدين للظلمة يظل سعيدًا، بل تتعلق الحياة المسيحية فعليًا باستيعاب مفهومي: التبني، أي أن الله تبنا في عائلته- مما يعني أن يسوع هو أخونا، وأن الله يحبنا كما يحب يسوع - وأن هدفنا في خطة الله هو أن يرد ملكوته على الأرض إلى أصله. نحن الآن، وسنكون، مجمع الله الإلهي الجديد. هو أبونا. ونحن أولاده، المُعيّنون لنحيا حيث هو إلى الأبد. ونحن عاملون معه، إذ كُلفنا بمهمة مساعدته في عتق أولئك الذين لا زال سيد الأموات يملكهم، أي أولئك المأسورين من قوات الظلمة غير المنظورة.

هذا هو الموضوع الذي يدور حوله الكتاب المقدس، من عدن إلى عدن. ذلك هو مصيرك. لا تتعلق حياتك الآن بأن تكتسب مكانتك في عائلة الله. لا يمكن اكتساب هذا. فهو عطية مجانية. إن حياتك الآن ينبغي أن تُظهر تقديرًا للتبني الذي حظيت به، وتستمع به، وتأتي بالآخرين كي يشتركوا معك فيه.

الفصل السادس عشر

نَدِينُ (نَحْكُم) مَلَائِكَةَ

من الضروري لإيماننا أن ندرك من نحن المؤمنين. نحن أبناء الله وبناته، مجمع إلهي أعيدت صياغته، يشترك بالفعل في ملكوت أبينا. لكن يوجد ما هو أكثر من هذا. نعم، نحن مجمع عائلة الله – لكن ما الغاية من هذا؟

في حين نحن الآن بالفعل في الملكوت (كولوسِّي ١: ١٣)، لكننا لم نر بعد الكشف الكامل لذلك الملكوت – أي لم نر العالم يصبح جنة عدن. تمتد هذه المفارقة، التي نسميها "الآن ولكن ليس بعد" [already but not yet] عبر كل الكتاب المقدس بطرق عديدة. وفي هذا الفصل أود أن أقدم لكم لمحة عما هو "ليس بعد"، وبهذا نجيب عن السؤال "ما الغاية من هذا؟"

الاشتراك الحالي في الملكوت

ليس اشتراكنا في ملكوت الله شيئًا معيَّنًا مسبقًا، بهذا المعنى: أننا لسنا مجرد آليين نُؤدي وظائف مبرجة لنا. ينتهك ذلك فكرة كوننا مخلوقين على صورة الله، أي ممثليه، بكاملها. فقد خُلِقنا كي نكون مثله. وبما أنه حر، فإن لم تكن لنا حرية حقيقية، لن يمكننا أن نكون مثله، أي إننا - في حد ذاتنا، أي بطبيعتنا- لن يمكن أن نكون مثله. نحن أحرار كي نطيع ونعبد، أو نتمرد وندلل أنفسنا. وسنحصد ما نزرعه. فإن قيامنا بالزرع ليس مبرمجًا آليًا.

لكن الله أعظم منا. فقد وضع حُطّة، وستتحقق هذه الحُطّة. لا يتوقف نجاح الحُطّة على حرية البشر، كما أن الحُطّة ليست ملزمة بالتكيف مع هذه الحرية. لا يمكننا إفساد الحُطّة – ولا تستطيع الكائنات الإلهية التي هي أيضًا حرة في اختيارها فعل ذلك.

فكر معي في اجتماع المجمع السماوي، الذي تحدثتُ عنه في الفصل الأول. لقد سألتك إن كنت تُصدِّقُ الأشياء التي يقولها الكتاب المقدس، ثم اصطحبتك إلى اجتماع عَقَدَه اللهُ مع مجعته السماوي في ١ ملوك ٢٢. فقد قضى الله (ولا بد أن يتم هذا) أنه قد آن لأخآب الشرير أن يموت. لكنه بعد ذلك ترك للكائنات الروحية في مجعته أن تقرر كيفية حدوث ذلك (١ ملوك ٢٢: ١٩-٢٣).

يعمل التعيين المسبق والحرية بطريقة مترابطة في حكم ملكوت الله. إن مقاصد الله لن تبطل أو تتوقف أبدًا. وهو قادر أن يأخذ الخطية والتمرد، ويتمم مشيئته بالرغم منهما، من خلال ممثلين أحرار آخرين. وكما قال سي. إس. لويس في إحدى المرات عن الله (في كتابه بعنوان "Perelandra"): "أيًا كان ما تفعله، فهو سيُخرج منه الخير. لكن ليس الخير الذي قد أعدّه لك لو كنت أطعته من البداية".

ما الغاية، هنا والآن، من كوننا مجمع الله العائلي؟ أن نشترك مع الله في تحرير البشر من الظلمة. وأن نُظهر للبشر كيف يسلكون بالعدل والرحمة – مقتدين بالله من أجل من يحتاجون إلى نموذج توضيحي. وكما ننشر الحق عن الإله الحقيقي، وندافع عنه في عالم عدائي خاضع لسيادة كائنات عاقلة إلهية حاسدة. وأخيرًا، أن نستمتع بالحياة بحسب قصد الله.

تعد جميع هذه الدعوات تدريبيًا من أجل الملكوت الآتي في المستقبل. ويتوافق هذا مع سؤال بولس لأهل كورنثوس، الذين كانوا قد فقدوا منظورهم الإلهي في خضم مشاحناتهم حول أمور هذه الحياة: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ [سنحاكم] مَلَائِكَةً؟" (١ كورنثوس ٦: ٣). كان بولس جادًا. وكان يقصد شيئًا محددًا في ذلك التصريح.

سلطان على الأمم

إن الصيغة النهائية للملكوت لم تتشكل بعد. وحين يحدث هذا، ستَهْزَم قوات الظلمة. وستفقد الآلهة الشيطانية سيادتها على الأمم إلى الأبد – ليحل محلهم عائلة الله ومجمعه من البشر الممجدين. انظر ما قاله يسوع في سفر الرؤيا:

"وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَكُمْ تَمَسَّكُوا بِهِ إِلَى أَنْ أَجِيءَ. وَمَنْ يَغْلِبْ وَيَحْفَظْ أَعْمَالِي إِلَى التَّهَيَّاتِ فَسَأُعْطِيهِ سُلْطَانًا عَلَى الْأُمَمِ، فَيَرَعَاهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ حَدِيدٍ، كَمَا تُكْسَرُ آيَةٌ مِنْ حَزْفٍ، كَمَا أَخَذْتُ أَنَا أَيْضًا مِنْ عِنْدِ أَبِي، وَأُعْطِيهِ كَوْكَبَ الصُّبْحِ" (رؤيا ٢: ٢٥-٢٨)

حين يأتي يسوع ثانية كي يتسلم عرشه على أرض جديدة – جنة عدن كونية جديدة – سيشارك إخوته في هذا العرش. والرياسات والقوات ستُطرح عن عروشها، وسنحل نحن مكانهم. لن يُعطى سلطانهم لملائكة آخرين أمناء لله – بل إننا سنفوق الملائكة في الرتبة في ملكوت الله العدني الأخير. سيُولِّي يسوع إخوته وأخواته المسئولية.

هل أربكك ذلك التصريح الأخير في رؤيا ٢: ٢٨؟ "وَأُعْطِيهِ كَوْكَبَ الصُّبْحِ"؟ إنه يبدو بالفعل غريبًا، لكنه يتحدث عن اشتراكنا مع يسوع في حكم

الأمم بعد هزيمة قوى الشر. ويُستخدَم لفظ "كوكب الصبح" لوصف كائنات إلهية (أيوب ٣٨: ٧). كما أنه لفظ مسياني. وبما أن المسيا إله، فقد كانت "لغة الكواكب والنجوم" تستخدم أحياناً لوصف ملكوته الآتي في المستقبل. يقول سفر العدد ٢٤: ١٧ "يَهْرُزُ كَوْكَبُ مِنْ يَعْقُوبَ، وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيلَ". وفي سفر الرؤيا يصف يسوع نفسه على النحو التالي: "أَنَا أَصْلُ وَدُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ" (رؤيا ٢٢: ١٦).

إن كلمات رؤيا ٢: ٢٥-٢٨ مفعمة بالقوة. فلم يكن يسوع يقول إنه هو كوكب الصبح المسياني فحسب، بل إنه سيعطينا كوكب الصبح - أي أنه سيشاركنا معه في حكمه المسياني. ويأخذنا رؤيا ٣: ٢٠، ٢١ خطوة أبعد ليدرك المؤمنون الفكرة جيداً:

" هَتَّنَدَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي. مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ (رؤيا ٣: ٢٠-٢١)

ما الغاية من أننا جُعلنا شركاء الطبيعة الإلهية؟ لماذا يقدمنا يسوع رسمياً أمام مجمه بصفتنا إخوته وأخواته؟ كيما يعطينا الله السيادة والسلطان على الأرض كما رغب من البداية. سترجع السماء إلى الأرض في جنة عدن جديدة، كونية.

جنة عدن أبدية

منذ الأصحاحات الأولى من سفر التكوين، وجنة عدن هي النقطة البؤرية لحُطّة الله للإنسان، ولبقية المخلوقات الإلهية المخلوقة على صورته، وملكوته.

وبالتالي، ليس من قبيل المفاجأة ولا المصادفة أن يأخذنا الأصحاح الأخير من سفر الرؤيا إلى جنة عدن من جديد:

"وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لَامِعًا كَبَلُورٍ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللَّهِ وَالْحُرُوفِ. فِي وَسْطِ سَوْفِهَا وَعَلَى النَّهْرِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ، شَجَرَةٌ حَيَاةٍ تَصْنَعُ اثْنَيْ عَشْرَةَ ثَمْرَةً، وَتُعْطِي كُلَّ شَهْرٍ ثَمَرَهَا، وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ لِشِفَاءِ الْأُمَّمِ. وَلَا تَكُونُ لَعْنَةً مَا فِي مَا بَعْدُ. وَعَرْشُ اللَّهِ وَالْحُرُوفِ يَكُونُ فِيهَا، وَعَبِيدُهُ يُخْدِمُونَهُ. وَهُمْ سَيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ. وَلَا يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى سِرَاجٍ أَوْ نُورِ شَمْسٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ الْإِلَهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ (رؤيا ٢٢: ١-٥)

هل لاحظت أن شجرة الحياة تشفي الأمم؟ تلك الأمم، التي هيمنت عليها سابقًا رياسات وقوات، سيحكمها الآن أبناء وبنات الله الجدد - أنت وأنا.

لم تكن هذه المرة الأولى التي تظهر فيها شجرة الحياة في سفر الرؤيا. فقد قال يسوع، مخاطبًا من يثبتون على إيمانهم إلى النهاية، في رؤيا ٢: ٧، ١١ "فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي وَسْطِ فِرْدُوسِ اللَّهِ ... فَلَا يُؤْذِيهِ الْمَوْتُ الثَّانِي". وتعد الإشارة إلى شجرة الحياة إشارة عَدْنِيَّة واضحة. يشير الموت الأول إلى الموت الجسدي، الذي جلبته خطية آدم، وطرده من جنة عدن. وبما أن جميع البشر، مؤمنين وغير مؤمنين على حد سواء، سيقومون قبل الدينونة، فإن الموت الثاني إذن هو الدينونة الأخيرة (رؤيا ٢١: ٨). ومن سيظلون أحياء مع الله في جنة عدن جديدة، لن يؤذيه الموت الثاني.

لِمَاذَا يُعَدُّ هَذَا مُهِمًّا؟

يملك الكثير من المؤمنين نظرة ناقصة عن الحياة ما بعد الموت. لا يجبرنا الكتاب المقدس بكل تفاصيل ما ستكون عليه هذه الحياة، إلا أن بعض الجوانب مؤكّدة. لن نقوم بالعزف على القيثارات، أو التسبيح اللا نهائي، بينما نطفو هنا وهناك فوق السحاب. ولن نكون فقط جالسين فوق أرائك سماوية، نتحدث مع أحبائنا الراحلين، أو مع المؤمنين المشهورين من العصور الماضية.

عوضًا عن ذلك، سنحيا الحياة التي كانت جنة عدن تقدمها، وسنشغل بالاستمتاع بما خلقه الله، والاعتناء به، جنبًا إلى جنب مع الكائنات الإلهية التي ظلت على ولائها له. لن تعود السماء والأرض مكانين منفصلين.

ينبغي لمعرفتنا بمصيرنا أن تشكّل تفكيرنا في الوقت الحاضر، هنا والآن. كما قال بولس: "مَا لَمْ تَرَ عَيْنًا، وَمَلَّم تَسْمَعْ أُذُنًا، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُجِبُّونَهُ" (١ كورنثوس ٢: ٩). تساعدنا معرفتنا بهذه النتيجة المذهلة والمجيدة في أن ننظر لظروفنا الحالية بمنظور صحيح. بعد أن كتب بولس الكلمات التي قرأناها لتونا، قال هذه الكلمات في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس:

"مُبَارَكُ اللَّهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأفَةِ وَالْإِلَهُ كُلُّ تَعَزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّيْنَا فِي كُلِّ ضَيْقَاتِنَا... فَإِنَّمَا لَا نُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ ضَيْقَاتِنَا الَّتِي أَصَابَتْنَا فِي أَسْيَاءَ، أَنَّنَا تَقْفَلُنَا جِدًّا فَوْقَ الطَّاقَةِ، حَتَّى أَيْسَنَا مِنَ الْحَيَاةِ أَيْضًا. لَكِنْ كَانَ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا حُكْمَ الْمَوْتِ، لِكَيْ لَا نَكُونَ مُتَكَلِّينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي يُقِيمُ الْأَمْوَاتَ" (٢ كورنثوس ١: ٣-٩)

يستطيع الله أن يحفظنا في هذه الحياة؛ لكن وفي الموت أيضًا سيقيمنا لنجلس مع يسوع في عرشه (رؤيا ٣: ٢١).

فإننا إما نحيا واضعين وجهتنا نصب أعيننا، أو لا. ينبغي لوعينا بمصيرنا أن يغير سلوكنا. إن علمت أنك يومًا ما ستكون شريكًا في المسكن نفسه أو عاملًا في المكتب نفسه مع ذلك الشخص الذي تنتقده، وتنتقص من قدره، بل وأيضًا تزدري به، فإنك حينئذ ستستثمر جهدًا أكثر قليلًا كي تكون صانع سلام، ومشجعًا، بل وربما صديقًا لذلك الشخص. لماذا إذن نعامل إخوتنا المؤمنين على هذا النحو الرديء؟ كيف لا نبذل أقصى طاقتنا لدفع غير المؤمنين نحو يسوع، مثلما نبذل الطاقة كي نعاملهم كأعداء؟ إما أننا واضعون الأبدية نصب أعيننا أو لا.

ما مقدار الحكم الذي يلزم على يسوع أن يشركك فيه كيما يبقيك سعيدًا؟ ربما يبدو هذا السؤال غريبًا، بما أن أية عطية من هذا القبيل نحصل عليها من يسوع من المتوقع أن تكون رائعة. لماذا، إذن، نتنافس بشدة مع المؤمنين على المكانة؟ لماذا نتشاحن ونتخاصم بعضنا مع البعض على المصلحة، والأفضلية، وجذب الانتباه، والربح الشخصي؟ ألسنا في هذا نشبه أهل كورنثوس، الذين اضطروا بولس إلى تذكيرهم بمصيرهم؟ نحن إما مكثفون وقانعون بأن نحكم ونملك معه، أو لا.

أيها المؤمن بالمسيح، حان الوقت كي تحيا عالمًا من أنت، وعالمًا خطط الله لك.

خاتمة

وصلنا الآن إلى نهاية رحلتنا. لكن ربما من الأفضل أن نقول إن هذه ليست سوى البداية.

تناولنا في هذا الكتاب بعض الأسئلة الأساسية: هل توجد آلهة أخرى؟ إن كان موجودة، فهل يشكل هذا فارقاً كبيراً في فهمنا للكتاب المقدس؟ وما الذي يعنيه هذا لإيماننا إن افترضنا أن العالم غير المنظور الذي يصفه الكتاب المقدس حقيقي، ليس فقط تلك الأجزاء المألوفة والمقبولة، بل أيضاً الأجزاء غير الاعتيادية التي غالباً ما يتم تجاهلها؟ ما أن بدأت في التقاط حبكة رواية الكتاب المقدس الفائقة للطبيعة، أدركت أنني في حاجة إلى التفكير بأسلوب مختلف في كافة الأشياء. لكن يمكنني أن أجمل الأمر في كلمتين: الهوية، والهدف. وأرجو أن تكون قراءتك لهذا الكتاب قد شكّلت تحدياً بالنسبة لك في كلا هذين الجانبين.

هُويتنا: لنا منزلٌ في عائلة الله

ما تحدّث عنه هذا الكتاب له تأثيرات مهمة في كيفية فهمنا لمعنى أن نكون مؤمنين، أي أن نكون "في المسيح"، على حد تعبير العهد الجديد في كثير جداً من الأحيان. بمجرد إدراكنا أن آلهة العهد القديم، حقيقيون، يصير معنى وصية الله بالألا تكون لنا آلهة أخرى أمام يهوه، إله إسرائيل، هو بؤرة الاهتمام. لا تتعلق الوصية بعدم الاهتمام بالمال، أو اليخوت، أو السيارات، بل تتعلق بمحبة الله الغيورة لشعبه. بكلمات أخرى، تعني الوصية ما تقوله. ومن هنا يسهل ملاحظة حماقة الولاء لأي إله آخر غير إله جميع الآلهة.

تظهر أيضًا بجلاء بشاعة اضطرارنا أن نعيش مع عواقب إدانة الله للآلهة وشعوبهم ("الأمم"). فقد حرّمنا الله قبلاً من ميراثنا، واستُعبدنا للفساد، وتعرضنا لاستغلال آلهة أخرى. كنا، كما يقول بولس، أجنبيين عن الله، وغرباء عن عهود الموعد [محبته العهدية] (أفسس ٢: ١٢). كنا ضالين، ومستعبدين للظلمة، وأعداء لله في خدمة حُكام غير منظورين (أفسس ٤: ١٨؛ كولوسّي ١: ٢١).

إن استيعابنا لذلك الموقف يزيد من وضوح معنى مفاهيم عقائدية، مثل التبني، والميراث. فهو يضع سياقًا لتلك المفاهيم. لم يكن الله راعبًا في إبطال حُطة سكناه على الأرض مع عائلته، للاستمتاع بالعالم المخلوق الذي هو صنعة يديه. نعم، في بابل، تحلى الله عن البشر وأدار لهم ظهره، لكن في اللحظة التالية، دعا إبراهيم كي يقيم منه عائلة جديدة، لكي يكون هو القناة التي من خلالها يمكن لأولئك الذي حُرّموا من ميراثهم أن يعرفوا طريق الرجوع إليه (أعمال ١٠: ٢٦-٢٧).

إن قبول الواقع الفائق للطبيعة للعالم الروحي في الكتاب المقدس هو أمر ضروري لفهم الكتاب المقدس. فهو يفسر لماذا، فيما يمضي العهد القديم قدمًا، لن تُعامل خطية عبادة الأوثان كأية خطية أخرى. بل ستكون هي الخطية. أقام الله شعب إسرائيل ليكونوا مخلصين لله؛ لكن حين تحولوا إلى آلهة أخرى، أُخذوا إلى السبي، مطرودين ومرفوضين كالأمم الأخرى. وهذا سبب محوري لأن يوصَفَ الخلاص في الكتاب المقدس دائمًا بالارتباط مع الإيمان. لا يبحث الله جوهرًا عن سلوك أفضل. هو يبحث عن الإيمان، عن ولاء مؤمن. وحين نختار أن تتوافق قلوبنا مع إله الآلهة، سيخلصنا. لكن حين نختار إلهًا آخر، فإننا نزرع ما سنحصده يومًا ما.

وبالنسبة لنا اليوم، يعني الولاء المؤمن قبول عمل يسوع على الصليب، إذ كان هو الله الظاهر في الجسد. لا تتعلق أخلاقياتنا وسلوكنا (أعمالنا) بأن نكون أوفياء بما يكفي كي يقبلنا الله. لكننا نتبع وصاياه لأننا اخترناه بالفعل. وستقودنا وصاياه إلى سعادتنا، وشبعنا، لأنها توجّهنا بعيداً عن تدمير أنفسنا والآخريين. وهي تمدنا بلمحة عن الحياة في تناغم مع الله ومع بقية عائلته - عائلتنا - المنظورة وغير المنظورة، في ملكوته، عدن الجديدة.

الهدف من وجودنا- كلنا نلعب دورًا في خطة الله لاسترداد عدن

يوجد شرط واحد للعضوية في عائلة الله: إيمان ثابت بآله الآلهة، الذي جاءنا في شخص يسوع المسيح. هذه العضوية لا تمنحنا امتيازات رائعة فحسب، لكنها تمدنا أيضًا بهدف واضح في الحياة.

توجد مهمة موكلة لأفراد عائلة الله: أن يكونوا وكلاء الله، في استرداد حكمه الصالح على الأرض، وضم المزيد من الأعضاء إلى عائلته. نحن أدوات بين يدي الله لتحفيز الانقلاب العظيم الذي بدأ في أعمال ٢، أي ولادة الكنيسة، جسد المسيح، إلى وقت مجيء الرب ثانية. وكما انتشر الشر كالوباء في كل البشرية بعد إخفاق عدن الأول، هكذا ينتشر الإنجيل ويمتد كترياق عبر الكيان المصاب نفسه. نحن حملة الحق المختص بآله الآلهة، ومحبتة لجميع الأمم، ورجبته التي لا تتغير في أن يسكن مع عائلته في المنزل الأرضي الذي لطالما رغب فيه منذ أن خلقه. فإن عدن ستوجد ثانية.

إنها لحقيقة علمية أن قارات العالم تبتعد عن بعضها أكثر فأكثر كل عام. إلا إن تطور "الانجراف القاري" [continental drift] هو ظاهرة لا يمكن

إدراكها بالحواس البشرية. غير أننا نعلم بحدوث هذا الانحراف بفضل الملاحظات التي يمكننا الحصول عليها بعد حدوثه. هكذا أيضًا من جهة ملكوت الله الذي يتقدم بخطى ثابتة، وبعزيمة لا تلين. لا يمكننا بالعين المجردة أن ندرك كيف يقوم كل يوم بتقليص نطاق سيادة الآلهة، قوات الظلمة، أو كيف يُحرّر الإنجيل أولئك الخاضعين لهذه السيادة، واحدًا تلو الآخر؛ فهذا يقينٌ غير مُدرَك بالحواس البشرية.

المفتاح إلى رؤية أنفسنا داخل هذه الصورة هو أن نستوعب جيدًا وبشكل يقيني أن الله لا يزال يتم خطته وإن كنا لا نستطيع رؤيتها. لا يمكننا أن ندعي بصدق أننا نؤمن بالعالم غير المنظور، الخارق للطبيعة، في حين لا نؤمن بأن عناية الله الفطنة عاملة في حياتنا، وفي شؤون تاريخ البشر. يريدنا الله أن نحيا لغرض – مؤمنين بأن يده غير المنظورة، والكائنات غير المنظورة الوفية له، ونحن (عبرانيين ١: ١٤) متداخلون في ظروفنا، بحيث، معًا، يمضي هدف الله لإعادة تأسيس عدن كونية إلى الأمام دون توقف.

كل شخص فينا له أهمية حيوية في مسيرة شخص آخر إلى الملكوت، وفي الدفاع عن ذلك الملكوت. يتيح لنا كل يوم الاتصال بأناس تحت سيادة الظلمة، ويتيح لنا فرصًا لتشجيع وتثديد بعضنا بعضًا في مهمتنا الشاقة لتحقيق الغرض من وجودنا في عالم مليء بالعيوب. كل ما نعمله ونقوله له أهميته، وإن كنا لا نعلم لماذا أو كيف. لكن دورنا ليس أن نرى، بل أن نعمل. ليس السلوك بالإيمان سلوكًا سلبيًا، بل هادفًا.

صلاة الغفران

صلاة الغفران: عطية ثمينة

إن صلاة الغفران شيء نَلْتَمِسُهُ جميعًا في وقت ما من حياتنا. الغفران عطيةٌ ثمينةٌ؛ لا يمكن أخذها بسهولة، ولا يمكن منحها بسهولة. الغفران ضروري للحياة؛ فهو يحررنا من أخطاء الماضي، ويعطينا رجاء للمستقبل. كان الغفران هو الغرض الذي جاء لأجله يسوع المسيح إلى الأرض ليموت من أجل البشر.

صلاة الغفران: صارت ممكنة بفضل يسوع المسيح

صلاة الغفران هي صلاة تُرفع إلى الله. مع أننا قد نتسبب في جرح بعضنا بعضًا، لكن كل آثامنا وتعدياتنا تتسبب جوهريًا في الجرح لله. وقد تتساءل كيف يكون هذا ممكنًا. كيف يمكن لنقائصنا وعيوبنا أن تجرح خالق الكون القادر على كل شيء؟ أَلْعَلَّ اللهُ يهتم بهذه الأشياء؟ في تكوين ٦ ، نجد أن الله نفسه يحزن بالفعل بسبب كل الإساءات التي وجهها الناس بعضهم إلى بعض: "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ." (تكوين ٦: ٥، ٦)

الله العالم بكل شيء تُحزنه حتى فكرة ارتكاب الشر. بناء عليه، يجب أن يأتي الغفران من الله جوهرياً. ومع ذلك، لأن الله عادل، لا يمكن أن يُعطى الغفران مجاًناً. فكل خطأ يجب أن يُحسب حتى يكون الله قاضياً عادلاً. مات يسوع المسيح على الصليب في الجلجثة بديلاً عنا لكيما تُغفر خطايانا. لقد دفع بآلامه ثمن تعدياتنا وآثامنا. "لأنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا." (متى ٢٦: ٢٨).

في محبته كان الله يعلم أن ضمائرنا تحتاج لمن يجررها من الذنب والدينونة. لقد كان يعلم أن غفران الخطايا كان هو أعظم احتياج لدينا. وبفضل عمل محبته الفائقة، لم يقاسي الله الآلام التي كنا نستحقها على خطايانا، بل سدّد أيضاً ثمن عواقب تلك الخطايا حتى نحصل نحن على الغفران المعطى لنا عندما نخطئ. وكل ما يلزمنا أن نعمله هو أن نقبل عطية غفرانه المجانية.

صلاة الغفران: اطلب من الله الغفران

ربما تكون عثرت على هذا الموقع الإلكتروني فيما كنت تبحث عن صلاة غفران تُلّين جرح نفس معدّبة. أو ربما تصارع وأنت تحاول أن تغفر لشخص آخر لأنه جرحك جرحاً عميقاً. يا كل من قبلوا الرب يسوع رباً ومخلّصاً، الغفران عطية مجانية. إن اعترفنا بأخطائنا وطلبنا الغفران، سيغفر الله لنا، بلا شك: "إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ." (١ يوحنا ١: ٩).

وإن رفضنا يسوع، ففي الأساس نحن نرفض عطية غفران الله. في الواقع نحن بذلك نقول إننا لا نرغب في أن نتصالح مع الله (١ يوحنا ١: ١٠). ومع أنه

اختيارنا الحر أن نقبل الغفران من الله، لكننا في النهاية سُئِساءل على كل خطايانا التي ارتكبتها بعدما تنتهي هذه الحياة. إن الله يرغب بشدة في أن يتصالح معك. "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ." (يوحنا ٣: ١٦). إن كنت ترغب حقًا في نوال الغفران، ففكر في ما قاله يسوع واقبله بصدق ربك ومخلصك. سيغفر لك، وسيبدأ الله عمل التغيير في حياتك.

صلاة الغفران: نوال حياة جديدة

تمنح صلاة الغفران رجاء جديدًا وبداية جديدة. لقد محا الله كل خطايانا. "لَأَنِّي أَكُونُ صَفُوحًا عَن آثَامِهِمْ، وَلَا أَذْكَرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ" (عبرانيين ٨: ١٢).

إن أدركت أنك خاطيء، وآمنت بأن يسوع المسيح جاء بصفته الفادي الوحيد من الخطية، فأنت تفهم معنى صلاة الغفران. ويقودنا هذا إلى السؤال "هل أنت مستعد لتفعيل الصلاة، بأن تقبل عطية الله التي هي ابنه يسوع المسيح؟ إن كنت تقبل، آمن بالمسيح، وتب عن خطاياك، وأودعه ما تبقى من حياتك بصفته ربك:

"يا أبي، أعرف أنني قد خالفت وصاياك وقد فصلتني خطاياي عنك. أنا أسف حقًا؛ وأريد الآن أن أتحوّل بعيدًا عن ماضيّ وَأَتَوَجَّهَ إِلَيْكَ. من فضلك اغفر لي، وساعدني لكي أتجنّب ارتكاب الخطية مجددًا. أومن بأن ابنك، يسوع المسيح، مات من أجل خطاياي، وقام من بين الأموات، وهو حي الآن، ويسمع صلاتي. ها أنا أدعو يسوع أن يكون سيد حياتي، أن يحكم ويملك في قلبي من هذا اليوم

فصاعدًا. من فضلك أرسل روحك القدوس ليعينني على طاعتك، وعلى عمل مشيئتك لبقية حياتي. باسم يسوع أصلي، آمين."

"تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أعمال ٢: ٣٨).

إن اتخذت قرارك بأن تقبل يسوع اليوم، فمرحبًا بك في عائلة الله. الآن، لكي تزداد قريبًا منه، يخبرنا الكتاب المقدس بأن نتابع تعهدنا.

- اعتمد كما أمر المسيح.
- أخبر شخصًا آخر بإيمانك الجديد بالمسيح.
- اصرف وقتًا مع الله كل يوم. لا يجب بالضرورة أن تكون فترة طويلة من الوقت. فقط اجعلها عادة يومية أن تصلي إليه وتقرأ كلمته. اطلب من الله إن يزيد إيمانك وفهمك للكتاب المقدس.
- اسع للشركة مع أتباع يسوع آخرين. كوّن مجموعة من الأصدقاء المؤمنين للإجابة عن أسئلتك ولتدعيمك.
- انضم إلى كنيسة محلية حيث يمكنك أن تعبد الله.

هل صرتَ تابعًا ليسوع اليوم؟ من فضلك انقر نعم! أو لا

هل أنت بالفعل تابع ليسوع؟ من فضلك انقر هنا

ما رأيك؟ كلنا أخطأنا ونستحق دينونة الله. الله، الآب، أرسل ابنه الوحيد للوفاء بمطالب تلك الدينونة من أجل أولئك الذين يؤمنون به. يسوع، الخالق وابن الله الأزلي، الـاي عاش حياة بلا خطية، يحبنا محبة شديدة حتى أنه مات من أجل خطايانا، وتحمل العقاب الذي كنا نحن نستحقه، ودُفن، وقام من بين الأموات حسبما ورد في الكتاب المقدس. إن كنت حقًا تؤمن وتثق بذلك في قلبك، آخذًا يسوع وحده مخلصًا لك، ومعلنًا: "يسوع هو الرب"، ستخلص بالتأكيد من الدينونة وتقضي الأبدية مع الله في السماء.

ما جوابك؟

نعم، اليوم أتخذ القرار بأن أتبع يسوع

نعم، أنا بالفعل تابع ليسوع

ما زال عندي أسئلة

طلب من المؤلف

يعتبر كتاب خارق للطبيعة ملخصًا لكتبي الأكاديمي المفصل: العالم غير ، وعنوانه الفرعي: كشف الرؤية الكونية للعالم The Unseen Realm المنظور الخارق للطبيعة في الكتاب المقدس.⁸

وأرجو أن يكون كتاب خارق للطبيعة قد نَهَضَ بك وأعطاك دفعة روحية. وإنني أرغب في تقديم هذا الكتاب مجانًا للقارئ وذلك بفضل التبرعات السخية من أشخاص لديهم اهتمام بمحتواه. من فضلك فكّر في التبرع لمؤسسة Miqlat سواء عبر موقعها الإلكتروني miqlat.com أو nakedbible.org من أجل إنتاج المزيد من الكتب والمواد المجانية.

للاطلاع على المزيد من التعاليم الكتابية، يُرجى زيارة صفحتي الرئيسية: nakedbiblepodcast.com والاستماع إلى البث الصوتي عبر drms.com.⁹ إنما هو يعكس رغبتني في أن أعلم النص الكتابي فقط Naked Bible الاسم " قبل أن "تُفَلِّتْهُ" المعتقدات العصرية الحديثة، والطوائف، وغيرها من الفلاتر الدينية.

ستكتشف على صفحتي الرئيسية أنني أقوم أيضًا بالكتابة في مجال الخيال The العلمي، متخذًا من ذلك وسيلة لأعرّف باللاهوت الكتابي. كما أن روايتي)

⁸ Amazon.com، ومتاح باللغة الإنجليزية عبر موقع Lexham Press، 2015 صدر عن

⁹ الكتاب المقدس المجرد

(متاحتان فقط بالإنجليزية عبر موقع The Portent وتكملتها: Façade
Amazon.com .